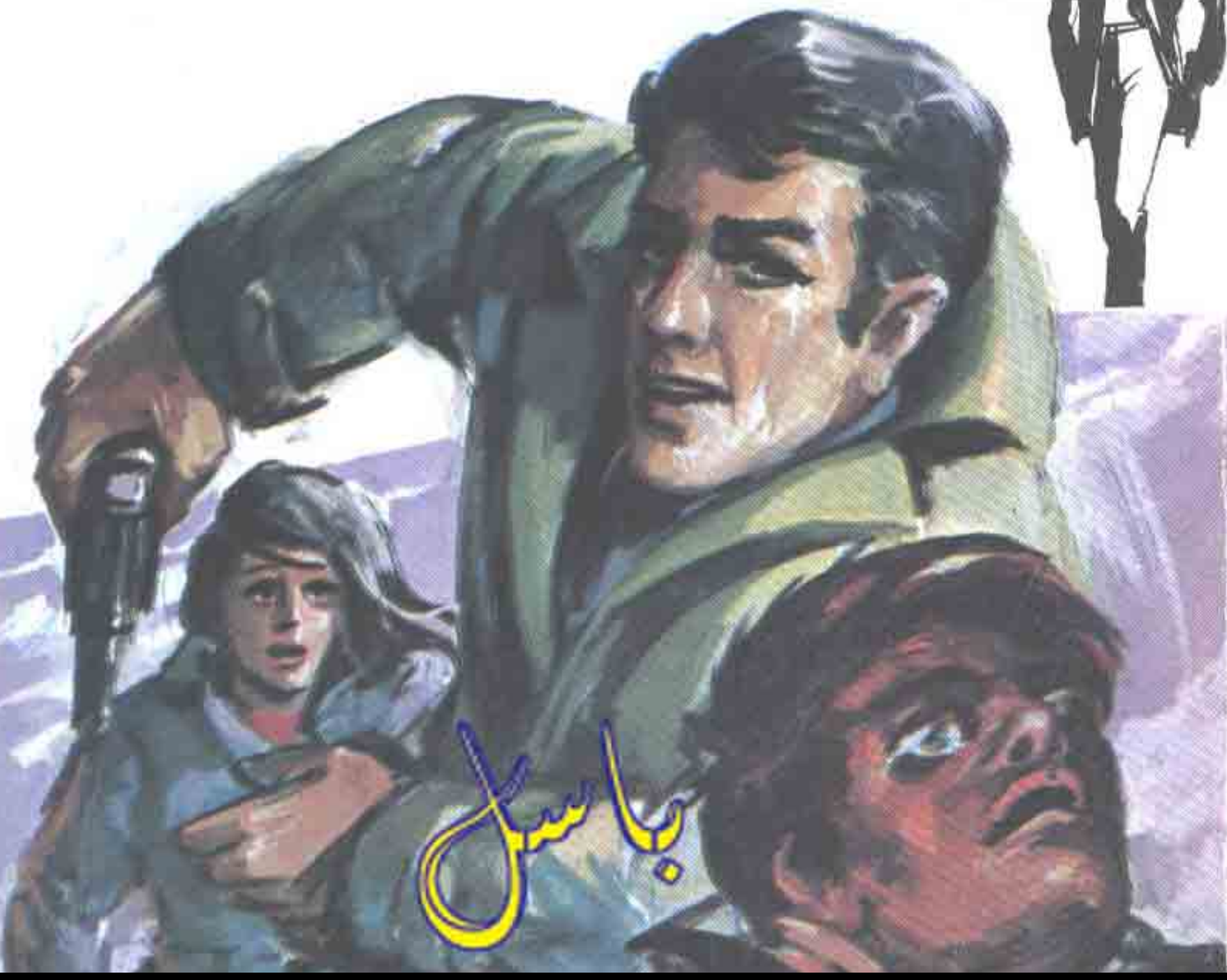




روايات مصرية للجيب  
رجل المستحيل

# العين الثالثة

٤٤



بإسفل

رجل المستحيل • العين الثالثة • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل  
المستحيل  
سلسلة  
روايات  
بوليسية  
للشباب  
زاخرة  
بالأحداث  
المثيرة

٤٤

الثمن في مصر

وما يعادل دولارا  
أمريكيًا في سائر  
الدول العربية  
والعالم

## العين الثالثة

- ترى .. ماذا تعنى كلمة ( عين ) فى لغة المخابرات ؟
- ماسر انتقال (أدهم) و (منى) إلى تلوج روسيا القاسية ؟
- ترى .. أينجح (أدهم صبرى) فى إقتصاص ( العين الثالثة ) ، أم تنتهى مغامراته وسط الثلوج ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : القضبان الجلدية

www.helmelarab.net

المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
بلازا التحرير - القاهرة - ٩١٢٤٤٥



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات .. ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

### د. نيل فاروق

## ١ - إلى الشروق ..

لمع البريق في سماء مصر ، التى تلبّدت بالغيوم ، وانهمرت منها الأمطار في الأسبوع الأخير من ديسمبر ، خلال واحدة من أشد الموجات الباردة ، التى هبّت رياحها على جمهورية مصر العربية ..

ووسط الأمطار الباردة ، المنهمرة كالسيول ، عبّرت سيارة ( أدهم صبرى ) ، و ( منى توفيق ) بوابة مبنى المخابرات العامة المصرية ، وقالت ( منى ) فى ضيق ، وهى تضم أطراف معطفها الثقيل ، لتؤمن بهض الدفء لجسدها الضئيل :  
— ياله من يوم !! لولا استدعاء سيادة المدير لنا ، ما فكرت فى مغادرة فراشى قط .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول :

— تذكّرى يا عزيزتى أن المدير أيضاً قد غادر فراشه إلى هنا ،

فى الجو نفسه .

غمغمت فى حنق :



— نعم .. فى سياره مكيفه الهواء ، و الى مكتب مماثل .

ضحك ( أدهم ) وهو يوقف سيارته ، ويهبط منها بصحبه ( منى ) ، وأسرع الاثنان الى داخل مبنى المخابرات ، وصعدا درجات السلم الى حجرة مدير المخابرات المصريه ، الذى استقبلهما فى اهتمام ، مع نائبه الجديد ، الذى صافح ( أدهم ) فى حراة ، وقال :

— أنت إذن ( ن — ١ ) ، الذى يطلقون عليه اسم ( رجل المستحيل ) .

ابتسم ( أدهم ) ابتسامه هادئة ، وهو يقول :

— أعتقد ذلك يا سيدى .

انزعهما مدير المخابرات من حديثهما ، قائلاً فى اهتمام :

— هل علمت بقصة شبكة الجاسوسية ، التى تم ضبطها

بمصر فى الأسبوع الماضى يا ( ن — ١ ) ؟

أجابه ( أدهم ) باهتمام مماثل ، وهو ينزع معطفه الثقيل :

— لقد ألقى المباحث العامة القبض على جاسوسين

! ..

قاطع مدير المخابرات فى جدية :

— ولقد فرّ الثالث ، قبل أن يتم كشف الشبكة بأكملها ،

وهو أخطر أفرادها ، أو بمعنى أدق هو زعيمها .

هتف ( أدهم ) و ( منى ) فى آن واحد :

— فرّ ؟!

أوما مدير المخابرات برأسه إيجاباً فى ضيق ، وقال :

— لقد فرّ بجواز سفر مزور ، على أول طائرة غادرت القاهرة ، قبيل لحظات من الإيقاع بالشبكة .

سأله ( أدهم ) فى قلق :

— هل يحمل معه بعض المعلومات السرية ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

— لا .. ولكن الأمر أخطر من ذلك بكثير .

ثم التفت الى ( منى ) ، وقال :

— أعتقد أن معطفك الثقيل لا يناسب جو الحجرة الدافئ

أيّتها النقيب .

انتبهت ( منى ) الى أنها لا تزال ترتدى معطف المطر

الثقيل ، فأسرعت تنزعه وهى تغمغم :

— معذرة يا سيدى ، ولكن الجو بالخارج شديد البرودة

و ..

قاطعها ( أدهم ) ، وهو يسأل مدير المخابرات فى اهتمام :

— أين تكمن الخطورة يا سيدى ؟



أشار مدير المخابرات إلى نائبه الجديد ، وقال :

— سيشرح لكما العميد ( شوقي ) تفاصيل الأمر ، فهو الذى ألقى القبض على الشبكة كلها ، فى أثناء رئاسته للمباحث العامة ، وقبل انتقاله للعمل بيننا هذا الصباح .

التفت عينا ( أدهم ) و ( منى ) إلى العميد ( شوقي ) ، الذى تنحج ، وقال :

— أنتم تعلمان أن كلمة جاسوس تطلق دائماً على العميل الذى ينقل أسرار بلده إلى بلد عدو ، أما العميل الأجنبى ، الذى يبحث عن معلومات ، فنطلق عليه اسم ( عين ) .. وتلك الشبكة التى ألقينا القبض عليها كانت تتكوّن من ثلاث عيون ، وسبعة جواسيس .. ولقد قادتنا تحرياتنا إلى كشف الشبكة بأكملها ، وأعددنا بالفعل خطة ماهرة ، لإلقاء القبض على أفرادها جميعاً فى لحظة واحدة .. وفى أثناء تنفيذ الخطة سقط عينا والجواسيس السبعة ، واختفت ( العين الثالثة ) تماماً .

غمغم ( منى ) :

— العين الثالثة ؟!

تمم مدير المخابرات ، وهو يلوح بكفه فى ضجر :

— هذا هو الاسم الكودى لتلك المهمة .

ابتسم العميد ( شوقي ) ، ثم عاد يستطرد :

— لقد كان ( العين الثالثة ) يعمل هنا ، فى أحد البنوك الأجنبية ، تحت اسم ( أندريه جريج ) .. ولقد غادر القاهرة فجأة .. بجواز سفر مزور ، إلى منطقة عمله الأصلية ، قبل إلقاء القبض على الشبكة بساعة واحدة

غمغم ( أدهم ) ، وكأنه يتساءل عن بعض التفاصيل :

— منطقة عمله الأصلية ؟!

ظهر شبح ابتسامة على شفתי العميد ( شوقي ) ، وهو يقول :

— يبدو أن هذا يحتاج إلى مزيد من التفاصيل .

ثم اعتدل مستطرداً فى لهجة قوية :

— لم تكن هذه الشبكة تتبع ( الموساد ) كما تصوّر البعض ، ولكنها تتبع أشهر منظمة عالمية للتجسس التجارى . وأردف فى بطاء :

— منظمة ( سكوريون ) .

أطلقت ( منى ) صيحة دهشة ، على حين رفع ( أدهم )

حاجبيه ، وعاد يخفضهما وهو يتسم فى سخرية ، ويغمغم :

— خصومنا القدامى إذن !



ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

— أنت خصمهم اللدود يا ( ن — ١ ) ، لقد حطمت  
غطرتهم أكثر من مرة .

هتف العميد ( شوقي ) في حرارة :

— لقد قرأت الملفات السريّة الخاصة بذلك ، ولقد كنت  
رائعاً يا ( ن — ١ ) .

ابتسم ( أدهم ) وقال :

— شكراً يا سيّدى .

ثم عادت ملامحه إلى جدّيتها ، وهو يردف :

— ولكننى لم أعرف بعد مدى الخطورة في هروب هذا  
الرجل .

قال العميد ( شوقي ) :

— تكمن الخطورة في أنه الرجل الوحيد ، الذى يعلم كل  
شئ عن الشبكة ، وعن أفرادها الذين ربما لم نتوصّل إليهم  
يا ( ن — ١ ) ؛ لذا فنحن في أشد الحاجة إلى استعادته .

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وغمغم :

— استعادته ؟!

أوما العميد ( شوقي ) برأسه ، وقال :

— نعم يا ( ن — ١ ) .. إعادته إلى القاهرة ، وبحالة

تسمح باستجوابه ، وإلا ظللنا نخشى وجود فرع آخر للشبكة  
طوال الوقت .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت ( منى ) :

— هل لدينا مزيد من المعلومات عنه يا سيّدى ؟

قال العميد ( شوقي ) :

— نعم أيتها النقيب .. إنه يرأس إحدى الشركات الخاصة ،

التي نشأت مؤخراً بعد اتفاقية الوفاق الأخيرة ، و ....

قاطعته ( منى ) ، وهى تهتف فى دهشة :

— اتفاقية الوفاق ؟!

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

— هذا هو أصعب جزء فى المهمة فى الواقع أيتها النقيب ،

ولقد ادخرناه إلى النهاية .

التقط العميد ( شوقي ) طرف الحديث ، وابتسم فيما يشبه

الاعتذار ، وهو يقول :

— نعم أيها السادة ، إن مهمتكما هى القبض على ( أندريه

جريج ) وإحضاره حياً معافى من ....

صمت لحظة ، ثم أردف فى بطاء :



— من ( موسكو ) .

أطلق ( أدهم ) صفيراً طويلاً من بين شفتيه ، على حين  
قفزت إلى رأس ( منى ) صورة قائمة لثلوج لا نهاية لها ، وانتابتها  
رجفة وهي تهتف :

— يا إلهي !! ( موسكو ) ؟. في مثل هذا الوقت من  
السنة ؟

ضحك مدير المخابرات ، وهو يقول :

— نعم أيتها النقيب ، ستذهبان إلى ( موسكو ) رأساً .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول في هدوء :

— الذهاب لا يقلقني ياسيدى ، ولكنها العودة ..

ثم اتسعت ابتسامته ، وشملتها بعض السخرية ، وهو يردف

في هدوء شديد :

— وحرصاً على أموال المخابرات ، أقترح أن أحصل وزميلتى

على تذكرة بلا عودة .. إلى ( موسكو ) .

\*\*\*

## ٢ — بلا عودة ..

— ثلاثون تحت الصفر ؟!.. يا إلهي !! وأنا التى كنت  
أرتجف برداً فى مصر .

هتفت ( منى ) بهذه العبارة فى سخط ، وهى تتطلع من  
نافذة الفندق الضخم ، إلى الثلوج الكثيفة ، التى تغطى كل  
شبر من مدينة ( موسكو ) ، وأطلق ( أدهم ) ضحكة  
خافتة ، ثم أشار بسبابته ، قائلاً :

— حذار يا عزيزتى ، فالسوفييت لن يعجبهم سخطك على  
طقسهم .

زفرت ( منى ) فى ضيق ، وقالت :

— وماذا يعنيتهم من سخطى على طقسهم ؟.. وماذا

لو علموا طبيعة مهمتنا ؟ و .....

قفز ( أدهم ) فجأة ، وأحاط فمها بكفه ؛ لينعها من  
مواصلة الحديث ، ثم قال فى لهجة بدت لها شديدة المرح :

— هل سنقضى وقتنا كله فى الفندق يا عزيزتى ؟.. دعينا

لمشاهدة استعدادات عيد الميلاد فى ( موسكو ) .



تطلعت إليه ( منى ) فى دهشة ، وغمغمت فى استسلام :  
— حسنًا .. هيّا بنا .

\*\*\*

ارتجفت ( منى ) وهى تسير إلى جوار ( أدهم ) ، وسط  
ثلوج ( موسكو ) الكثيفة ، على الرغم من معطفها الفراء  
الثقيل ، الذى تتدثر به ، وغمغمت فى حنق :  
— أهذا وقت الخروج إلى الطريق ؟ إن أنفاسى تتجمد قبل  
أن تغادر شفتى .

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :  
— كان لابد لنا من ذلك ، قبل أن تشرحنى خُطَّتنا كلها  
للسوفيت يا عزيزتى .

توقفت ( منى ) بغتة ، وسأله فى حنق :  
— هل لك أن تشرح لى معنى ذلك ؟  
جذبها من معصمها ، ليحضنها على مواصلة السير ، وهو  
يقول ضاحكًا :

— لا تتوقفى يا عزيزتى ، وإلا تجمدت بردًا .

ثم أردف فى جدية :

— لا تجعلى سياسة الوفاق تخدعك يا عزيزتى .. صحيح أن

الاتحاد السوفيتى يتظاهر اليوم باتخاذ سياسة أكثر انفتاحًا ،  
ليبرهن على حسن نواياه تجاه الغرب ، ولكن هذا مجرد إطار  
خارجى ، أما الصورة نفسها ، فلم تتبدل مطلقًا .

سأله فى اهتمام :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم وهو يقول :

— هل تذكرين مهمتنا السابقة فى موسكو ؟ .. (\*) إننا لم  
نستطع القدوم — حينذاك — إلا من خلال فوج سياحى ، أما  
الآن فالاتحاد السوفيتى يرحب بالسائحين ، ولكنه ما زال يعتبر  
كلًا منهم جاسوسًا ، حتى يثبت العكس .. وبناءً على ذلك ،  
رُوِّدَتْ حجرات الفندق كلها بأجهزة التنصت ، كما وضع  
السوفيت فى كل حجرة خطأ تليفونيًا منفصلًا ، حتى يمكن  
مراقبتها جميعًا .

غمغمت ( منى ) فى دهشة :

— يا إلهى !!

مطّ ( أدهم ) شففيه ، وقال :

— السوفيت أحرار فيما يتعلق بوسائل أمنهم يا عزيزتى ،

( \* ) راجع قصة ( الجليد الدامى ) .. المغامرة رقم ( ٥ ) .



ولا تنسى ذلك الصراع المستميت بينهم وبين الغرب ، على  
زعامة العالم ، ثم إنهم في أعماقهم شعب مكافح صنديد ، وهم  
في الواقع يثيرون إعجابى بصلابتهم .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قالت ( منى ) :

— ماذا عن ( أندريه جريج ) ؟

تنهَّد ( أدهم ) ، وقال :

— إنه يرأس شركة لتوريد القمح إلى الاتحاد السوفيتى ، وهم  
يعاملونه هنا كأجنى ، ولكنهم يهادنونه ، ويظهرون له الود ،  
نظراً لخطورة منصبه بالنسبة لاحتياجاتهم إلى القمح .

سأله :

— وكيف نستطيع الحصول عليه ؟

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

— سندفعه إلى التوسُّل لنا ، أن نصطحبه معنا إلى القاهرة

يا عزيزتى .

سأله في دهشة بالغة :

— كيف ؟

ابتسم في غموض وهو يقول :

— سترين يا عزيزتى .. سترين .

\*\*\*

اعتدل الرفيق ( ياكوف ) رئيس قسم مكافحة التجسس ،  
وألقى نظرة فاحصة مدققة ، على الجندى الذى وقف أمامه فى  
احترام ، مؤدِّياً التحية العسكرية على نحو مفرط فى التبجيل ، ثم  
سأله فى هدوء لا يخلو من الحزم :

— ماذا وراءك يارفيق ( كلانوفسكى ) ؟

تنحنح ( كلانوفسكى ) ، وقال :

— لدى رسالة شفوية ، من قسم التصنت على الغرباء أياها  
الرفيق الجنرال .

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— إلىَّ بها .

قال ( كلانوفسكى ) بلهجة آليَّة :

— وصل إلى الفندق الكبير رجل وامرأة مصريان ، ولقد

قالت المرأة فى أثناء حديثهما معاً : « ماذا سيفعل السوفيت

لو علموا طبيعة مهمتنا ؟ » ، ولكن الرجل قاطعها على نحو مشير

للشك ، وهو يقول فى لهجة مرحة : « دَعِينَا نخرج لمشاهدة

استعدادات أعياد الميلاد يا عزيزتى » .

برقت عينا ( ياكوف ) ، وظهر الاهتمام واضحاً فى ملامحه ،

وهو يقول :



— طبيعة مهمتهما ؟

قال ( كلانوفسكى ) :

— نعم يا سيدى الرفيق .

ساد الصمت لحظة ، ثم افتر ثغر ( ياكوف ) عن ابتسامة واسعة ، تشبه ابتسامة القط ، حينما يكتشف وجود فريسته على بعد خطوات قليلة منه ، وقال :

— لهما مهمة فى وطننا إذن !!

ثم عاد يعقد حاجبيه ، ويقول وكأنما يحدث نفسه :

— ولكن علاقاتنا بمصر جيدة ، وهم لا يعتمدون مطلقا إلى التجسس علينا .

عاد الصمت يسود لحظة ، ثم نهض ( ياكوف ) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وقد شفت ملامحه عن تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قال فى هدوء :

— أحطهما بمزيد من المراقبة يارفيق ( كلانوفسكى ) .. وعند أول بادرة شك ، سنرسلهما فى طرد مضمون إلى ( سييريا ) ، كهدية عيد ميلاد .

\*\*\*

### ٣ — التَّحْدَى ..

رفع ( أندريه جريج ) عينيه الزرقاوين ، يتأمل فى ( أدهم ) بنظرة فاحصة ، ثم أزاح خصلة نافرة من شعره الأشقر الناعم ، وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يلقي نظرة سريعة على ( منى ) ، وقال :

— هل لى أن أتشرَّف بمعرفة سبب هذه الزيارة ، ياسيد .....

أجاب ( أدهم ) فى هدوء :

— ( أشرف صابر ) .. مندوب من وزارة الزراعة المصرية ، وهذه زوجتى السيِّدة ( منى توفيق ) .

بدت ابتسامة ( أندريه ) غامضة ، وهو يقول :

— هكذا ؟! .. وماذا تريد منى وزارة الزراعة المصرية ياسيد ( أشرف ) ؟

قال ( أدهم ) فى هدوء :

— نريد عقد صفقة ، لتوريد عشرة آلاف طن قمح إلى مصر .



رفع ( أندريه ) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وابتسم في خبث وهو يقول :

— عجباً !!.. ولماذا لم ترسلك وزارة الزراعة المصرية إلى الشركة الأم في الولايات المتحدة الأمريكية ؟.. إننى هنا مجرد مدير مكتب محدود المسئولية و....

قاطعته ( أدهم ) في هدوء :

— ستحصل على عمولتك بالطبع .

تطلع إليهما ( أندريه ) بنظرات باردة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة مأكرة ، ومال نحوهما قائلاً :

— إنها لا تبدو لى خُطةً محبوكة ياسيد ( أدهم ) .

رفعت ( منى ) حاجبيها في دهشة ، حينما خاطب الرجل ( أدهم ) باسمه ، ولكن ( أدهم ) ظلَّ هادئاً ، وهو يقول :

— لقد فضّلت أن أبدأ بها ، بدلاً من كشف الأوراق كلها دفعة واحدة أيها الوغد .

أطلق ( أندريه ) ضحكة قصيرة ، وقال وهو يشير إلى وجه ( أدهم ) :

— إنك حتى لم تبدل ملامحك كعادتك ياسيد ( أدهم ) .. هل نسيت أن كل فرد في ( سكوريون ) يحفظ ملامحك عن ظهر قلب ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי ( أدهم ) ، وقال :

— يبدو أنك لا تخشى أجهزة التصنت السوفيتية أيها الوغد .

ضحك ( أندريه ) في خبث ، وقال :

— لقد أبطنا مفعولها كلها ياسيد ( أدهم ) .

ثم أردف في لهجة متفاخرة :

— إن ( سكوريون ) منظمة قوية ، تمتلك تكنولوجيا متطورة ياسيد ( أدهم ) .. ولن أكون مبالغاً ، لو قلت إنها تفوق كل أجهزة الاستخبارات في العالم أجمع .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، على حين عاد ( أندريه ) يميل نحوه ، قائلاً في صرامة :

— ماذا تريد بالضبط ياسيد ( أدهم ) ؟

اعتدل ( أدهم ) في مقعده ، وقال في هدوء :

— أريد منك أن تعود معنا إلى القاهرة ياسيد ( أندريه ) .

حدّق ( أندريه ) في وجه ( أدهم ) بدهشة ، على حين

تطلّعت ( منى ) إلى ( أدهم ) في حيرة ، دون أن تفهم سرَّ هذه

المصارحة العجيبة ، وبعد فترة قصيرة من الدهشة ضحك

( أندريه ) في توتر ، وقال :



هل تتصور أن أطيعك ياسيد ( أدهم ) ؟ .. هل تظن أنني أخشاك كما يفعل البعض ؟

قال ( أدهم ) في هدوء ، ودون أن تفارق الابتسامة شفثيه :

— سأدفعك دفعا إلى ذلك .

بدت عبارة ( أدهم ) مفعمة بالتحدي ، حتى أن ملاح ( أندريه ) امتلأت بالغضب ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

وبهدوء شديد ، وبنفس الابتسامة الساخرة ، قال ( أدهم ) :

— أراهن .

مال ( أندريه ) نحوه ، وقال في تحد :

— إذا نجحت في دفعي إلى العودة معكما إلى القاهرة ، فسأدلى باعتراف صريح دون مناقشة ، فور وضع قدمي على الأراضي المصرية .

ثم ابتسم في تحد ، وأردف :

— وإذا فشلت في دفعي إلى ذلك خلال أسبوع واحد ، فسأعمل على إرسالكما إلى ( سيبريا ) .

نهض ( أدهم ) ، وقال في تحد :

— اتفقنا .

نهض ( أندريه ) بدوره ، ومدّ يده ليصافح ( أدهم ) ، ولكن ( أدهم ) ابتسم في سخرية ، وقال :

— لم أعتد مصافحة الأوغاد .

ثم أمسك معصم ( منى ) ، التي لم يفارقها الدهول بعد ، واتجه إلى باب الخروج ، ولكن ( أندريه ) أوقفه ، قائلاً :

— مهلاً يارجل المخابرات المصرية .

استدار ( أدهم ) و ( منى ) في هدوء ، فطالعهما مسدس صغير يصوبه إليهما ( أندريه ) ، وهو يردف في غضب :

— ماذا يمنعني من قتلكما الآن ؟

أجابه ( أدهم ) في هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

— لأن مسدسك غير مزود بكاتم للصوت ، وورصاصة واحدة في ( موسكو ) ، يكفي صوتها لإحاطة المدينة كلها برجال الأمن ، ثم إن إخراج جثتي من هنا يكاد يكون مستحيلاً .. فلا ريب أن سلطات ( موسكو ) تراقبك طوال الأربع والعشرين ساعة يومياً ، بعد أن أبطلت مفعول أجهزة التصنت الخاصة بهم .



احتقن وجه ( أندريه ) غضبًا ، وقال وهو يلقي مسدسه في  
درج مكتبه :

— أسبوع واحد يا سيّد ( أدهم ) .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :

— ستطأ قدمك أرض مصر قبل نهايته أيها الوغد .

ازداد احتقان وجه ( أندريه ) ، وهو يراقب مغادرة  
( أدهم ) و ( منى ) لحجرته ، ثم ضغط زرًا صغيرًا ، مخفيًا  
بمهارة في ركن مكتبه ، فدلف إلى حجرته رجل طويل القامة ،  
قوى الجسم ، بادره ( أندريه ) ، قائلاً :

— هل سمعت حديثًا يا ( هيرمان ) ؟

غمغم ( هيرمان ) في ضيق :

— سمعته ، ولم يعجبني يا مستر ( أندريه ) .

ابتسم ( أندريه ) ، وقال وهو يرفع سماعة الهاتف :

— ولكنني أعتقد أنه سيعجب الرفيق ( ياكوف ) كثيرًا .

عقد ( هيرمان ) حاجبيه ، وغمغم وهو يرقب ( أندريه ) ،

الذي يدير قرص الهاتف :

— أظنني سمعتك تقول أسبوعًا كاملاً !

ضحك ( أندريه ) ، وقال :

— القواعد وضعت لنخرقها يا عزيزي ( هيرمان ) .

ثم رسم على شفثيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول في الهاتف :

— كيف حالك يا عزيزي الرفيق ( ياكوف ) ؟ .. أنا

( أندريه جريج ) ، من شركة القمح الغربية ، لدى هنا أخبار

سيسيل لها ألعابك .

\*\*\*





## ٤ - وبدأت المطاردة ..

سارت ( منى ) إلى جوار ( أدهم ) وسط الثلوج صامتة ،  
ولم يكد الاثنان يبتعدان عن شركة القمح الغربية ، حتى هتفت  
في حَنَق :

— لست أفهم سبباً لهذا التحدى العجيب ، إنك تزيد  
الأمر تعقيداً .

ابتسم وهو يقول في هدوء :

— امنحيني ثقتك يا عزيزتى .

هتفت في غضب :

— امنحنى أنت ثقتك أولاً ، ودغنى أفهم ما ترمى إليه

و....

وبترت عبارتها فجأة ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!.. هناك رجلان يتبعاننا ، منذ مغادرتنا

الشركة يا ( أدهم ) .

أجابها فى هدوء :

— أنت قوية الملاحظة يا عزيزتى ، ولكن فأتك أنهما يتعقباننا  
قبل دخولنا أيضاً .

ازداد وجهها شحوباً ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!

ابتسم ( أدهم ) ، وقال :

— سيزداد الأمر صعوبة ، بعد أن يبلغ ( أندريه ) مكتب

مكافحة التجسس السوفيتى عنا يا عزيزتى .

سألته وهى ترتعد برداً ، وخوفاً :

— وهل سيفعل ؟

أجابها فى هدوء :

— بالطبع يا عزيزتى .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت فى غضب :

— لماذا دفعته إلى ذلك إذن ؟

جذبها من ذراعها فجأة إلى شارع جانبى ، خال من المارة ،

وازدادت سرعته وهو يتحرك داخله ، على حين اضطرت هى

للعدو خلفه ، وهى تهتف :

— ماذا نفعل ؟

أوقفها فجأة ، ثم ترك ذراعها ، وعاد أدراجه فى سرعة إلى



مدخل الشارع الجانبى .. ولم يكد يصل إليه ، حتى ظهر  
الرجلان اللذان يتبعانها ، وهما يعدوان ، خشية أن تفلت منهما  
الطريدتان .. ولم يكد كل منهما يلمح ابتسامة ( أدهم )  
الساخرة ، حتى توقفا فجأة ، وامتدت أيديهما إلى معاطفهما ،  
وهنا قال ( أدهم ) بالروسية :  
— لا أسلحة أيها الرفاق .

كانت لهجته الروسية سليمة ، حتى أن أصابع الرجلين  
تجمدت فجأة ، على مقبض مسدسيهما ، وقد ظنا أنهما  
يواجهان أحد مواطنيهما .. وفي لحظة التجمد هذه ، انبعثت  
حرارة القتال في جسد ( أدهم ) ..

انطلقت قبضة ( أدهم ) إلى فكّ الرجل الأول في قوة ، ألقته  
أرضاً ، في نفس اللحظة التي غاصت فيها قدمه في معدة  
الثانى .. وقبل أن ينهض الرجلان القويان لمواصلة القتال ،  
عادت قبضة ( أدهم ) اليمنى ترتطم بأنف الأول ، وهوت  
قبضته اليسرى على فكّ الثانى ، وانتهى القتال في لحظات ..  
التقط ( أدهم ) مسدسى الرجلين بسرعة ، ثم ناول أحدهما  
إلى ( منى ) ، وقال في لهجة متعكّمة :

— ها قد حصلنا على سلاحين يا عزيزتى .



ولم يكد كل منهما يلمح ابتسامة ( أدهم ) الساخرة  
حتى توقفا فجأة ، وامتدت أيديهما إلى معاطفهما ..



ثم التقط يدها ، وأسرع بها إلى نهاية الشارع ، وهي تهتف  
في حنق :

— إنك تزيد الأمور تشابكًا وتعقيدًا يا ( أدهم ) .

قال وهو ينحنى بها إلى طريق آخر رئيسى :

— اطمئنى يا عزيزتى .. هذا هو ما أسعى إليه بالضبط .  
توقفت بغتة ، وجذبت ذراعها من يده فى قوة ، وقالت فى  
صرامة :

— تسعى لأن نصبح مطاردين فى روسيا بأكملها !؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة غامضة ، وقال فى هدوء :

— نعم يا عزيزتى ، وهذا لا يقلقنى .. فما هى إلا ساعة  
واحدة ، ويختفى ( أشرف صابر ) و ( منى توفيق ) من روسيا  
تمامًا .

\*\*\*

أغلق ( ياكوف ) سماعة الهاتف ، وشبك أصابع كفيه  
أمام وجهه ، وعقد حاجبيه وقد ارتسمت فى ملامحه دلائل  
التفكير العميق ، فسأله زميل مكتبه ( أيقانوف ) :

— ماذا حدث يا رفيق ( ياكوف ) ؟

تطلع إليه ( ياكوف ) بعينين شاردتين ثم تنهد ، وقال :

— هناك أمور غامضة تحدث فى ( موسكو ) ، لا أفهمها ،  
وهذا يثير غضبى .

اعتدل ( إيقانوف ) ، وظهر الاهتمام فى ملامحه وهو يقول :

— أية أمور ؟

نقر ( ياكوف ) بأصابعه على سطح مكتبه لحظات ، ثم  
قال :

— هذا الصباح التقطت أجهزة التصنت فى الفندق  
الكبير ، حديثًا مثيرًا للريبة ، بين مصرى وزوجته .. ولقد  
أصدرت أوامرى بتشديد المراقبة عليهما ، ولقد توجَّها إلى شركة  
الغلال الغربية ، التى يرأسها هذا الرجل المريب ( أندريه  
جريج ) ، الذى أفسد أجهزة التصنت الخاصة بنا ، ثم غادراها  
بعد نصف ساعة فقط ، وبعد مغادرتهم تمامًا ، اتصل بى  
( أندريه ) هذا ، وأخبرنى أنهما ينتميان إلى جهاز المخابرات  
المصرى ، وبعد مكالمته بربع ساعة ، اتصل بى أحد رجالنا ،  
وقال إنهما تخلصا من المراقبة ، ولم نعد نهتدى لأثرهما .

هتف ( إيقانوف ) فى ذعر :

— يا للشيطان !!

ثم اعتدل فى حركة حادة ، وتابع فيما يشبه الصياح :



— إنهما مجاسوسان يا ( ياكوف ) .. لا مجال للشك .

أوما ( ياكوف ) برأسه في هدوء ، وقال :

— أعلم ذلك أيها الرفيق ( إيقانوف ) ، وأراهنك أنهما ما قدما إلى هنا إلا من أجل ( أندريه جريج ) هذا .

هتف ( إيقانوف ) في غضب :

— وهل سنتركهما مطلقى السراح هكذا في

( موسكو ) ؟ .. أنت تعلم أن هذا قد يفقدنا منصبتنا .. بل قد

يتسبب في نفينا إلى ( سيبيريا ) أيضا .

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة شفت عن ذكاء شديد ، وقال

في هدوء :

— لن نفعل يا ( إيقانوف ) .. إنهما سيعودان إما إلى

الفندق ، أو إلى ( أندريه ) .. وحتى يفعلنا ، سأصدر أوامرى

بفحص أوراق كل رجل وامرأة في ( موسكو ) .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف في برود :

— وسيكون عليهما أن ينكمشا إلى حجم الباعوضة ، حتى

يمكنهما الإفلات يا عزيزى الرفيق ( إيقانوف ) .. لقد نسيا أنهما

في ( موسكو ) .

\*\*\*

## ٥ — خُطَّة الشيطان ..

شهر الجندى السوفيتى مدفعه الرشاش ، في وجه رجل

طويل القامة ، مفتول العضلات ، أشقر الشعر ، أزرق

العينين ، تسير إلى جواره حناء شقراء ، لها عيناان في لون

السماء ، حينما تنعكس صورتها على الثلوج ، وصاح في صرامة :

— أوراقك .

ظهر القلق على وجه الرجل ، وقال وهو يخرج أوراقه في

توتر :

— إننا لم نخطئ في شيء ، أيها الرفيق الجندى .

كان يتحدث بروسية شعبية ، لا يرقى إليها الشك ، ففحص

الجندى أوراقه على عجل ، وناولها إيّاها ، وهو يقول لرفيقته :

— أوراقك أيضا .

تناول الأشقر من رفيقته أوراقها ، وناولها إلى الجندى ،

الذى فحصها وهو يغمغم :

— اسمك ( قولجا ) ؟



حدّقت الشقراء في وجهه ، وكأنها لا تفهم ما يقول ، ثم رفعت  
عينين حائرتين إلى رفيقها ، الذي ربّت على كتفها في رفق ، وقال  
للجندى :

— زوجتى خرساء بكماء أيها الرفيق الجندى ، وهذا مدوّن  
في أوراقها .

اطّلع الجندى بسرعة ، على الفقرة التى توضح ذلك في  
الأوراق ، ثم ناولها إلى الأشقر ، والتفت إلى مواطن آخر ،  
صائحاً بالصرامة نفسها :

— أوراقك .

جذب الأشقر زميلته ، وابتعد بها عن الجندى .. ولم يكذب  
يفعل ، حتى زفرت في ضيق ، وغمغمت باللغة العربية :  
— يا إلهى !! .. إنها خامس مرة يفحصون فيها أوراقنا خلال  
ساعتين فقط .

ابتسم الأشقر ، الذى لم يكن سوى بطلنا ( أدهم  
صبرى ) ، وقال :

— ( موسكو ) كلها تبحث عنّا يا عزيزتى ، ولكن أوراق  
صديقنا البدين ( قدرى ) تصنع المعجزات .  
سألته فى حنق :

— ألم يحن الوقت بعد لتشرح لى خطّتك الارتجالية هذه ؟  
هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— إنها ليست خطّة ارتجالية يا عزيزتى ، لقد وضعت  
المخابرات المصرية تفاصيل هذه الخطّة بأكملها .. أما عن الزميل  
الذى يقيم هنا فى ( موسكو ) ، فهو رجلنا الدائم هنا ، وهو  
الذى أمّن لنا أدوات التكرّر .  
سألته فى دهشة :

— ولكن ماذا تقصد الإدارة بهذه الخطّة ، التى اعتبرها  
مكشوفة للغاية ؟

أجابها ( أدهم ) فى هدوء :

— لقد سقط ذلك الوغد ( أندريه جريج ) فى الفخ ، دون  
أن يدرك يا عزيزتى .. لقد كشفت له شخصيتى ، وأثرت قلقة ،  
حتى أنه سيسارع بإبلاغ السلطات السوفيتية عنّا ، وبعدها  
نفلت نحن من المراقبة ، ونختفى تماماً فى قلب ( موسكو ) ..  
وهنا لن يكون أمامهم سواه ، وسيعتصرونه عسراً ، فى محاولة  
لمعرفة كل ما لديه من معلومات عنّا .. وبطبيعتهم الموروثة فى  
الشك ، لن يصدّقوا حرفاً واحداً مما سيدلى لهم به ، خاصة أنه  
سيخفى بالطبع السبب الرئيسى لوجودنا .. ومعلوماتهم السابقة



تؤكد أنه لا عداء ، أو حرب باردة بين ( مصر ) و ( روسيا ) ؛  
لذا فسيحكمون حصارهم حوله ، وسيضيقون عليه الخناق ،  
حتى يتسلل الفرع إلى قلبه ، ويحاول الفرار ، ولكنهم لن  
يسمحوا له بمغادرة البلاد ، مادامنا لم نظهر بعد ، وهنا لن يكون  
أمامه سوانا ، وسيتوسل لنا — حينذاك — أن نعاونه على  
الفرار .

استمعت إليه ( منى ) في دهشة حتى انتهى ، ثم غمغمت :  
— يا لها من خُطة !!

وأسرعت تردف في اهتمام :

— وماذا علينا أن نفعل ، حتى يصل إلى تلك المرحلة ؟

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، وقال في هدوء :

— سننتظر فقط يا عزيزتي .

ثم أمسك يدها ، وقال :

— الزمى الصمت يازميلتى العزيزة .

لم يكذب يدها ، حتى ارتفع صوت جندي سوفيتي آخر ،

يقول في صرامة :

— أوراقك .

\*\*\*

استدار ( أندريه ) إلى رفيقه ( هيرمان ) ، الذى اقتحم  
مكتبه بادی القلق ، وسأله فى توتر :

— ماذا وراءك ؟ .. لم تبدو هكذا ، وكأنك رأيت  
الشیطان نفسه ؟

أشار ( هيرمان ) إلى باب المكتب ، وقال فى دُعر :

— لقد حضر بنفسه إلى هنا .

سأله ( أندريه ) فى سخرية :

— الشيطان ؟!

هزّ ( هيرمان ) رأسه نفياً فى قوة ، وقال بصوت غلبه

الانفعال :

— تقريباً .. إنه الرفيق ( ياكوف ) .

تصلبت أطراف ( أندريه ) ، وهو يقول فى دُعر :

— الرفيق ( ياكوف ) ؟!

وفجأة .. دفع ( ياكوف ) الباب ، وتقدم إلى الداخل ،

وحَدَج ( أندريه ) بنظرة صارمة ، جمّدت الدم فى عروقه ، وهو

يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً فى هدوء :

— كيف حالك أيها الرفيق ( أندريه ) ؟

عجز ( أندريه ) عن النطق لحظة ، ثم خرج صوته من بين

شفتيه شاحباً كوجهه ، وهو يغمغم :



— بخير حال أيها الرفيق ( ياكوف ) ، بخير حال .  
مط ( ياكوف ) شففيه ، ونظر إلى ( هيرمان ) ، وهو يقول  
في صرامة :

— أريد أن نتحدث وحدنا أيها الرفيق ( أندريه ) .  
أسرع ( هيرمان ) يغادر الحجرة ، وهو ينتفض ذُعراً ، على  
حين دلف ( إيفانوف ) إلى الحجرة ، وأغلق الباب خلفه ،  
فتمتم ( أندريه ) في رعب :

— لقد قلت وحدنا أيها الرفيق ( ياكوف ) .  
قال ( ياكوف ) بصوت أشد برودة من ثلوج روسيا في  
الشتاء :

— نحن وحدنا أيها الرفيق ( أندريه ) .  
تطلع ( أندريد ) إلى ( إيفانوف ) ، الذى انتحى ركنًا  
جانبيًا ، وأشعل واحدة من السجائر الروسية ، ذات الرائحة  
النفاذة ، وراح ينفث دخانها في هدوء مخيف ، ولكن ( أندريه )  
لم يجرؤ على الاعتراض ، وابتلع ريقه في صعوبة ، ثم غمغم في  
صوت مختنق :

— خيرًا أيها الرفيق ( ياكوف ) .  
جلس ( ياكوف ) فوق المقعد المواجه لـ ( أندريه ) وحدد  
في عينيه مباشرة ، ثم قال في هدوء :

— هل تعمل في المخابرات الغربية أيها الرفيق ( أندريه ) ؟  
انتفض جسد ( أندريه ) في ذعر ، وهتف :  
— أنا ؟! .. مطلقًا أيها الرفيق .. كيف دارت هذه الفكرة  
برأسك ؟ و ....

قاطعته ( ياكوف ) في برود :  
— كيف علمت بأمر فردى المخابرات المصرية إذن ؟  
ارتبك ( أندريه ) ، وشحب وجهه على نحو واضح ، فهو لم  
يكن يتوقع مثل هذا السؤال ، عندما أبلغ ( ياكوف ) عن  
( أدهم ) و ( منى ) ، وزاد من ارتبائه تلك النظرات  
الغامضة ، التى كان ( ياكوف ) يرقبه بها ، كما لو كان ينفذ إلى  
أعماقه ، فتلعثم ( أندريه ) وهو يقول :

— هما اللذان أخبرانى و ....  
قاطعته ( ياكوف ) مرة أخرى :  
— لماذا ؟

ازداد ارتباك ( أندريه ) وتلعثمه ، وفجأة خيل إليه أنه قد  
توصل إلى مخرج ، فهتف :  
— لقد أراد اتجنيدى لحساب المخابرات المصرية ، ولكننى  
رفضت ، وأبلغتكما عنهما .



ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي ( إيفانوف ) ، على  
حين غمغم ( ياكوف ) في هدوء :  
— هكذا !؟

ثم مال نحو ( أندريه ) ، وقال :  
— هل قدما إلى مكتبك ، وأخبراك في صراحة ، أنهما من  
المخابرات المصرية ، وطلبا منك العمل لحسابهما ؟  
شعر أندريه بالفخ ، الذي يقوده إليه ( ياكوف ) في هدوء ،  
وزاد هذا من ارتباكـه وجزعـه ، فانكمش في مقعده ، وغمغم :  
— هذا ما حدث أيها الرفيق .

ظلّ ( ياكوف ) يحدّق في عيني ( أندريه ) لحظة ، ثم نهض  
من مقعده ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ، وقال :  
— حسنا أيها الرفيق ( أندريه ) .. ستصحبنا إلى الإدارة ،  
وتدلى بأقوالك هذه هناك .

ازداد شحوب وجه ( أندريه ) ، حتى بات من العسير  
تمييز ملامحه ، من الثلوج التي تغطي حافة نافذته ،  
وغمغم :

— لماذا الإدارة أيها الرفيق ؟

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— لأنك تكذب أيها الرفيق ( أندريه ) ، ولدينا في الإدارة  
عقارا ممتازا ضد الكذب .  
انهار ( أندريه ) في مقعده ، وسقط رأسه من فوق صدره ،  
وغمغم في انكسار :  
— سأخبرك بكل شيء أيها الرفيق .. بكل شيء .

\*\*\*





## ٦ - الفشل ..

استمع ( ياكوف ) في صبر واهتمام ، إلى كل كلمة نطق بها  
( أندريه ) ، ثم قال في برود :

— أنت ما زلت تكذب أيها الرفيق ( أندريه ) .

هتف ( أندريه ) في صوت مختق :

— كيف أيها الرفيق الجنرال .. لقد اعترفت لكم بأننى  
أعمل لحساب ( سكوريون ) ، وأننى كنت أقوم بمهمة تجسس  
في مصر حينما سقطت شبكتى هناك في أيدي المصريين ، ونجحت  
أنا في الفرار ، وجاء خلفى هذا الشيطان المصرى و ....

قاطعه ( ياكوف ) :

— كذب أيها الرفيق .. إنك تضيف صفات أسطورية على  
هذا الضابط المصرى ، وهذا يؤكد كذبك .. فما من مخلوق في  
أركان العالم كلها ، يمتلك هذه المهارات مجتمعة .

ازداد انكماش ( أندريه ) في مقعده ، وغمغم :

— ولكنها حقيقة أيها الرفيق الجنرال .

ثم تذكر فجأة أمراً غاب عن ذهنه ، فهتف في أمل :

— إنه الرجل نفسه ، الذى أوقع ( إيفان مالاخوف ) ،

مدير شرطة ( موسكو ) السابق ، ونجح في الفرار منكم على  
متن واحدة من طائراتكم ( الميج ) ، وبصحبه سوفيتى يدعى  
( أليكسى ) (\*) .

جاء دور ( ياكوف ) ليشحب وجهه ، وهو يغمغم في

ذهول :

— كيف وصلت كل هذه المعلومات أيها الرفيق ؟ .. إنها

تدرج تحت قائمة أكثر المعلومات سرية ، ونحن لم نشر إليها  
قط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وقال في صرامة :

— يبدو لى أنك شخص أشد خطورة ، مما كنا نتصور أيها

الرفيق ( أندريه ) ، ولا أعتقد أننا سنتخلى عنك بسهولة .

صرخ ( أندريه ) في فزع :

— كلاً .. كلاً .. يمكننى أن أعاونكم في القبض عليه .

(\*) راجع قصة ( الجليد الدامى ) . المغامرة رقم ( ٥ ) .



تألفت ابتسامة غامضة على شفتى ( ياكوف ) ، وقال في بطاء :

— ستفعل أيها الرفيق .. ستفعل .

\*\*\*

على بعد أمتار قليلة من الشركة الغربية للغلال ، همس ( أدهم ) في أذن ( منى ) :

— يبدو أن أصدقاءنا السوفيت ، قد بدءوا حصارهم لذلك الوغد .. فهذه السيارة التي تقف أمام شركته تؤكد أن لديه زائراً يحمل رتبة جنرال على الأقل .

لم يكذ ( أدهم ) يتم عبارته ، حتى برز وجه ( ياكوف ) فجأة من نافذة مكتب ( أندريه ) ، وصاح في رجال الحراسة ، الذين يملئون الطرقات ، بكلمات أمرة ، أسرع بعدها رجال الحراسة يعدون في كل اتجاه ، وغمغم ( أدهم ) في لهجة تشف عن القلق :

— يا إلهي !!

سألته ( منى ) ، التي لم تفهم حرفاً واحداً من كلمات ( ياكوف ) ، في دعر :

— ماذا حدث ؟

جذبها ( أدهم ) من يدها ، وأسرع بها الخطأ ، وهو يقول :

— لقد أمر هذا الرجل حراسه بالانتشار ، في مساحة نصف كيلومتر حول الشركة ، وتفتيش كل رجل وامرأة في هذا النطاق .

هتفت ( منى ) في فرع :

— ولكن لماذا ؟

قال ( أدهم ) وهو يزيد من سرعة حركته :

— أعتقد أن ( أندريه ) قد انهيار سريعاً يا عزيزتي .

\*\*\*

تطلع ( إيفانوف ) إلى ( ياكوف ) بعينين ملوئهما الدهشة ، وغمغم في حلق :

— ماذا تعنى أوامرك الأخيرة هذه ؟

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة ، جعلته أشبه بالثعلب ، وقال

في هدوء :

— تعنى الكثير أيها الرفيق ( إيفانوف ) .

ثم أردف في دهاء :

— مادام ضابط المخابرات المصرى هذا ينتظر استسلام



( أندريه ) فلا بد له من أن يحوم حول شركته معظم الوقت .. ولو أنه حقًا الرجل الذي ذكره ( أندريه ) ، فهذا يعنى أنه يجيد التحدث بالروسية ، كأحد أبنائها ، ويجيد التكرار إلى نحو مذهل ؛ لذا فالوسيلة الوحيدة للإيقاع به ، هي العثور على المسدسين ، اللذين اغتصبهما من رجل المراقبة .

رفع ( إيفانوف ) حاجبيه ، وعاد يخفضهما وهو يتسم في إعجاب ، مغممًا :

— أنت داهية أيها الرفيق الجنرال .

ابتسم ( ياكوف ) ، وقال في هدوء مغرور :

— إنها حرب ثعالب يا عزيزي الرفيق ( إيفانوف ) .

في اللحظة نفسها كان ( أدهم ) يث الخطأ ، محاولًا تجاوز منطقة الحصار ، وهو يجذب خلفه ( منى ) ، ويحاول في الوقت نفسه عدم جذب الانتباه إليهما .. وفجأة .. وفي أثناء دورانه حول أحد المنعطفات ، وجد نفسه أمام بعض الجنود السوفيت ، اللذين يقومون بتفتيش المارة ..

حاول ( أدهم ) أن يعود أدراجه مع ( منى ) ، ولكنه رأى بعض الجنود يحتلون مدخل الشارع من الناحية الأخرى ، ويقومون بالتفتيش بدورهم ..

غمغمت ( منى ) في توثر :

— كل أبواب المنازل مغلقة .. لن يمكننا الإفلات .

لم يجيبها ( أدهم ) على الفور ، ولكن ملامحه نمت عن القلق البالغ ، الذي يعصف بنفسه ، وهو يتلفت حوله بحثًا عن مخرج ، ثم توقفت عيناه عند أحد الجنود ، وهو يقوم بتفتيش أحد المارة ، وغمغم في قلق :

— يا إلهي !!!.. المسدسان .

صمت ( أدهم ) لحظة ، ثم تابع في هدوء :

— سيكشف المسدسان أمرنا يا ( منى ) .

سألته في فرع :

— هل نلقيهما ؟

هز رأسه نفيًا في هدوء ، وقال :

— سيراهما الجميع ، فالثلوج تغطي كل مكان ، وسيبدو

مسدس معدني كنقطة من الحبر الأسود ، على سطح ناصع

البياض .

غمغمت ( منى ) في يأس :

— لافائدة إذن .



ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم همس ( أدهم ) في حزم ،  
يشف عن اتخاذ قرار خطير :

— هل تعرفين موقع السفارة المصرية في ( موسكو )  
يا ( منى ) ؟

أجابته في دهشة :

— بالطبع .

تنهَّد في ارتياح ، وقال وهو يشد على يدها في قوة :

— ما أن يبدأ القتال ، ابتعدى بسرعة ، وانطلقى فوراً

إلى السفارة المصرية ، واطلبي مقابلة السفير ، وسيتفهم الأمر في  
سرعة ، فلقد أبلغته الإدارة بمهمتنا ، كما يقتضى العرف .

هزَّت رأسها نفياً في قوة ، وقالت :

— لن أتركك وحدك .

بدت لها نظراته صارمة مخيفة ، وهو يقول :

— هذا أمر أيتها النقيب .

التفت عيناها بالدموع ، وهي تقول في لهجة أقرب إلى

الضراعة :

— كلاً يا ( أدهم ) .. أرجوك .

التقط المسدس الثانى من حقيبتها في خفة ، ودسَّه في جيب  
معطفه ، وأزاحها عنه في هدوء ، وهو يكرّر :

— هذا أمر ..

غمغمت ( منى ) ، وهي تشاهده يتعد عنها في خطوات  
سريعة ، إلى حيث يقف جنود التفتيش :

— ( أدهم ) ..

كانت تعلم أنه يضجى بنفسه من أجلها ، ومن أجل مصر .

\*\*\*





## ٧- تحت الصفر ..

تقدّم ( أدهم ) بخطوات واثقة ، هادئة ، نحو الجنود السوفيت ، وقال لأحدهم في هدوء :

— أفسح الطريق أيها الرفيق الجندى .

رفع الجندى مدفعه الرشاش في وجه ( أدهم ) ، وقال في صرامة :

— ارفع يديك للتفتيش .

وفي سرعة مذهلة خرجت يدا ( أدهم ) من جيبي معطفه ، وبسرعة البرق هوت قبضته كالقنبلة على وجه الجندى ، الذى ترنّح ، ودارت رأسه ، وجحظت عيناه وهو يهوى أرضاً ، وتحرك الجنود الآخرون في سرعة ، فاندفعوا نحو ( أدهم ) من كل صوب ، ومدافعهم الرشاشة مصوّبة إلى جسده ، ولكنه قفز قفزة مذهلة ، غبر بها أجساد أربعة جنود في مواجهته ، وهبط خلفهم ، ثم انتزع من جيبي معطفه المسدسين ، وأطلقهما في آن واحد ..

سبع طلقات دوت متعاقبة ، حتى لقد ظنها الجميع رصاصتين لا غير ..

وطارت المدافع الرشاشة من أيدي الجنود السبعة الذين أجمعهم الدهول ، فلم يتحرك أحدهم خطوة واحدة ، حيناً مرق ( أدهم ) من بينهم ، واندفع يعدو كالصاروخ فوق الثلوج .. أفاق الجنود السبعة من ذهولهم بسرعة ، وعادوا يختطفون مدافعهم الرشاشة ، ويمطرون ( أدهم ) برصاصاتها ..

شعر ( أدهم ) برصاصات السوفيت تتأثر حوله ، دون أن تصيبه واحدة منها ، فزاد من سرعة عدّوه ، حتى أقسم البعض أنه تجاوز الرقم الأولمبى الأخير ، على الرغم من الثلوج الزلجة ، التى يعدو فوقها ..

وفجأة .. برز أمامه عدد من الجنود السوفيت ، داخل سيارة جيب كبيرة ، وتوقّف ( أدهم ) دفعة واحدة ، ورفع مسدسيه في وجه السيارة ، ولكنه انزلق ..

فقد جسده توازنه مع ذلك التوقف المفاجئ وسط الثلوج ، فسقط بينها ، وأفلت أحد المسدسين من قبضته .. ولم يكد ينهض مستعداً لمواصلة القتال ، حتى وجد أمامه خمسة مدافع رشاشة ، يطلّ منها الموت ، وسمع صوتاً صارماً يقول :



— حركة واحدة ، وتحوّل إلى مصفاة .

كانت مواصلة القتال في هذه الحالة يُعدّ ضرباً من الجنون ؛  
لذا فقد ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وألقى المسدس الثاني ، وهو  
يقول بالروسية :

— إننى أفضل الاحتفاظ بجسدى كما هو أيها الرفيق .

تناهى إلى سمعه في تلك اللحظة صوت أقدام تقترب منه ،  
وفجأة هوى على رأسه شيء ثقيل ، وأظلمت الدنيا أمامه ، ثم  
سقط فاقد الوعي .

وشاهدت ( منى ) — من خلال دموعها — الجنود  
السوفيت ، وهم يحملون ( أدهم ) إلى السيارة ، التى انطلقت  
مبتعدة ، فازداد انهمار الدموع من عينيها ، وغمغمت في صوت  
متحشرج :

— وداعاً يا ( أدهم ) .. وداعاً يا ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

— رسالة من ( موسكو ) يا سيّدى .

نطق المقدم ( حازم عبد الله ) بهذه الكلمات ، في صوت  
تغلب عليه رنة الحزن والانفعال ، فرفع مدير المخابرات المصرية  
عينية إليه ، وسأله في توتر :

— من ( أدهم ) ؟

هزّ ( حازم ) رأسه نفياً في هدوء ، وأجاب :

— لا يا سيّدى .. من سفارتنا هناك .

غلب الانفعال مدير المخابرات ، فهتف في لهفة :

— اقرأها بالله عليك .

قال ( حازم ) ، وهو يعقد حاجبيه جزئاً :

— يقول سفيرنا هناك ، إن النقيب ( منى توفيق ) قد  
حضرت إليه ، ودموعها متجمّدة على وجنتيها ، وأخبرته أن  
السوفيت ألقوا القبض على ( أدهم ) ، وأن المهمة قد فشلت .  
غمغم مدير المخابرات في ألم :

— فشلت ؟!

ثم عاد يسأل في لهفة :

— وماذا أصاب ( أدهم ) ؟

أجابه ( حازم ) في حزن :

— لا أحد يعلم شيئاً عن مصيره يا سيّدى .. آخر ما رآته  
( منى ) هو الجنود السوفيت ، وهم يحملونه فاقد الوعي ، إلى  
مكان مجهول .



تراجع مدير المخابرات في مقعده ، وبات من الواضح أن  
الحزن يعتصر نفسه ، وهو يقول :

— فاقد الوعي !؟

ثم نهض من مقعده ، وسار في الحجرة ، وهو يشبك أصابع  
كفيه خلف ظهره ، ومرّت فترة طويلة من صمت ثقيل ، قبل أن  
يقول مدير المخابرات في صوت يغلب عليه الحزن :

— اتصل برئاسة الجمهورية يا ( حازم ) .. لا بدّ لنا من بدء  
مفاوضات استعادة ( أدهم ) على الفور ..

تردّد ( حازم ) لحظة ، ثم قال :

— ألا ننتظر قليلاً حتى تتضح الأمور يا سيدي ؟

عاد مدير المخابرات إلى صمته دقيقة كاملة ، ثم غمغم :

— لقد عملت سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي عامين ، قبل  
أن أتولّى هذا المنصب يا ( حازم ) ، وأعرف طبيعة السوفيت  
جيّداً .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف في صوت حزين :

— ما لم نبدأ التفاوض في الحال ، يمكنك اعتبار هذه آخر

مهام ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

استعاد ( أدهم ) وعيه في بطنه ، وشعر ببرودة قارصة في  
أطرافه ، ففتح عينيه في هدوء ، وطالعه صورة مهتزة ، لم تكد  
ملاحظتها تتضح ، حتى تبين له وجه ( ياكوف ) ، وسط زنزانة  
صغيرة عارية الجدران ، لها نافذة واحدة ، تعلو عن الأرض بثلاثة  
أمتار كاملة ، وباب صغير من الصلب ، ومصباح ضعيف  
الإضاءة ..

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، على الرغم من الدوى  
الشديد ، الذي يعصف برأسه ، وقال بلغة روسية سليمة :

— أهو أنت أيها الرفيق ( ياكوف ) ؟

عقد ( ياكوف ) حاجبيه ، وقال في برود :

— أنت تعرفني إذن !! .. من أنت بالضبط ؟

أجابه ( أدهم ) ، وهو يعتدل جالساً :

— مندوب من وزارة الزراعة المصرية ، واسمى ( أشرف

صابر ) .

سأله ( ياكوف ) في صرامة :

— ولماذا لم تبلغنا السلطات المصرية بقدومك ؟

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، وقال :

— لأنني لم آت في مهمة رسمية .



ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة شفت عن دهائه ، وهو يقول :  
— وهل من عادة مندوبى وزارة الزراعة فى مصر ، التحدث  
بالروسية بكل هذه الطلاقة ، ومعرفة رجال مكتب مكافحة  
التجسس .  
بادله ( أدهم ) نفس النظرة الباردة ، الصارمة ، وقال فى  
هدوء :

— ستثير أزمة دبلوماسية باحتجازى هنا أيها الرفيق  
( ياكوف ) .

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة صفراء ، وقال :  
— ومن قال إننا نحتجزك ؟ .. إننا لم نرك منذ وصولك إلى  
بلدنا المسالم .. هذا ما سنبغفه لدولتك رسمياً .  
ثم أردف فى لهجة ذات مغزى :  
— أيها الرفيق ( أدهم صبرى ) .

ساد الصمت بينهما لحظة ، تبادلًا فيها نظرات التحدى ، ثم  
أطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :  
— لقد أخطأت نطق اسمى أيها الرفيق ( ياكوف ) ، فأنا  
أدعى ( أشرف صابر ) .

مطّ ( ياكوف ) شففيه ، وقال :

— سنرى أيها الرفيق .

ثم استدار على نحو عسكرى محض ، ودقّ باب الزنزانة  
المعدنى دقة واحدة ، ثم التفت إلى ( أدهم ) ، وقال :  
— سيملاً رجالى زنزانتك بالماء أيها الرفيق ، وأحذرك أنه  
سيجمّد على الفور .. فدرجة البرودة تصل اليوم إلى أربعين تحت  
الصفر .

فتح جندى سوفيتى يحمل مدفعاً رشاشاً باب الزنزانة ، فى  
نفس اللحظة التى استطرد فيها ( ياكوف ) ، فى لهجة أقرب إلى  
الشماتة :

— وعندما نلتقى فى الصباح الباكر ، ستكون أكثر  
استعداداً للكلام .

واستدار ليغادر الزنزانة ، وهو يردف :  
— هذا إذا بقيت حياً أيها الرفيق .

\*\*\*





## ٨ — الجليد الساخن ..

تحرك مدير المخابرات المصرية من مكتبه بتوثر .. ولم يكذب  
يسمع صوت طرقات منتظمة على باب حجرته ، حتى صاح في  
لهفة :

— ادخل يا ( حازم ) .

دلف ( حازم ) إلى الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه ،  
وسأله مدير المخابرات في اهتمام :

— بيم أجابوا ؟

قال ( حازم ) في ضيق :

— يقولون إن الأمر أخطر من أن يتخذ فيه قرار سريع ..  
فستعني أية خطوة من جانبنا أننا متورطون في الأمر ، وسيعطى  
هذا فرصة للسوفيت لفرض شروط ، قد تؤدي إلى توتر العلاقة  
بين الدولتين .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول في حنق :

— إنها السياسة مرة أخرى .

أجابه ( حازم ) في صوت خافت :

— إنهم أيضاً يعملون لمصلحة مصر يا سيدي .

غمغم مدير المخابرات :

— أعلم ذلك يا ( حازم ) .. أعلم ذلك .

ثم أطل من نافذة مكتبه ، وهو يستطرد :

— إننا نتقاضى مرتباتنا من أجل هذا وحده .

\*\*\*

استدار ( ياكوف ) ليغادر زنزانة ( أدهم ) الصغيرة  
العادية ، وحجب بجسده ذلك الجندي ، الذي يمسك مدفعه  
الرشاش .. وهنا تحرك ( أدهم ) في سرعة ..

انقضَّ فجأة على ( ياكوف ) ، وجذبه من عنقه في قوة ، في  
الوقت نفسه الذي تحركت فيه ساقه اليسرى ، وركلت المدفع  
الرشاش من يد الجندي .. وقبل أن ينمحي أثر المفاجأة ، كان  
( أدهم ) قد التقط المدفع الرشاش في يمينه ، وضغط على عنق  
( ياكوف ) بساعده الأيسر في قوة ، وقال في صرامة :

— إنني لا أنوي قضاء الليل وسط الثلوج أيها الرفيق ،

خاصة بعد أن اختلستم معطفي وقفازاتي .

توقف الجندي مبهوئاً ، مذهولاً ، لا يجرؤ على إتيان حركة



واحدة ، على حين صاح ( ياكوف ) بصوت مختق ، من أثر ضغط ( أدهم ) القوى على عنقه :

— هل أصابك الجنون ؟... من المستحيل أن تفر من هنا .

قال ( أدهم ) في سخرية :

— هل تراهن ؟!

هتف ( ياكوف ) :

— مستحيل .. سيكون عليك أن تعبر ممراً طويلاً ، يموج

بعشرات من جنود الأمن ، والخروج من بوابة الإدارة و ....

ضحك ( أدهم ) في سخرية ، وشدد من ضغط ساعده

على عنق ( ياكوف ) ، وهو يقول :

— لن أفعل ذلك وحدي .

ثم أردف في صرامة :

— ستساعدني على الخروج من هنا أيها الرفيق

( ياكوف ) .

صرخ ( ياكوف ) في حزم :

— مستحيل .. مستحيل .

\*\*\*

شد جنود إدارة مكافحة التجسس قامتهم ، وصنع صوت



وقبل أن ينمحي أثر المفاجأة ، كان ( أدهم ) قد التقط المدفع الرشاش في يمينه ..



أقدامهم دويًا في الممر الطويل ، حينما عبره ( أدهم ) في خطوات واسعة ، وهو يرتدى زى ( ياكوف ) ويرخى قبعته الرسمية ، لتخفى الجزء الأكبر من وجهه ، وساعده معطف ( ياكوف ) الثقيل على إخفاء نصف وجهه السفلى .. ولم يكد يصل إلى آخر الممر ، حتى قال في صوت يستحيل تمييزه من صوت ( ياكوف ) ، وبنفس لهجته :  
— نفذوا ما أمرتكم به .

ثم اندفع إلى الخارج ، وتوجّه من فوره إلى سيارة ( ياكوف ) ، التى فتح سائقها بابها الخلفى فى احترام ، وأسرع يحتل مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، ثم رفع عينيه إلى مرآة السيارة ، وهو يقول فى احترام :  
— إلى أين أيها الرفيق الجنرال ؟

لم يكد السائق يتم عبارته ، حتى جحظت عيناه ، وهتف وهو يركّزهما على وجه الرجل ، الذى يبدو واضحًا فى مرآته :  
— ولكنك لست ....

بتر عبارته فجأة ، حينما شعر بفوهة مسدّس باردة ، تلتصق بمؤخرة عنقه ، وسمع صوت ( أدهم ) يقول فى سخرية :  
— إلى أى مكان خارج هذا الحصن البغيض أيها الرفيق السائق .. هذا إذا كنت تفضّل الحياة على الموت .

وبدون تبادل كلمة أخرى زائدة ، انطلق السائق بالسيارة ، حتى مدخل إدارة مكافحة التجسس ، وهناك أوقفه رجال الأمن ، وقال أحدهم فى هدوء :

— أوراقك أيها الرفيق الجنرال .  
تناول ( أدهم ) أوراق ( ياكوف ) من معطفه ، وناولها لرجل الأمن ، وهو يزيد من إرخاء قبعته ، لإخفاء وجهه تمامًا ، وألقى رجل الأمن نظرة خاطفة على الأوراق ، ثم أعادها إلى ( أدهم ) ، وغمغم فى اعتذار :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال .. إنها الأوامر .  
وأشار بيده ، فانفتح جانباً البوابة ، وأدار السائق محركات السيارة مرّة أخرى .  
وفجأة .. اندفع جنديّ من مبنى الإدارة ، وصرخ فى انفعال :

— أوقفوا السيارة ، إنه رجل زائف .  
وهنا دفع ( أدهم ) فوهة مسدّسه فى عنق السائق ، وصاح فى صرامة :  
— انطلق .

وانطلقت السيارة كالصاروخ ..

\*\*\*



لم تمض لحظات قصار ، حتى اندفعت سيارتان مصفحتان  
خلف سيارة ( أدهم ) ، الذى قفز فى مهارة إلى المقعد المجاور  
للسائق ، وصاح به :

— زِدْ من سرعتك أيها الوغد .

هتف السائق فى رعب :

— هذا مستحيل يا سيدى .. ستزلق السيارة على الثلوج

لو فعلت ..

رأى ( أدهم ) فى مرآة السيارة المصفحتين تقتربان فى سرعة ،

دفع السائق وهو يقول :

— اقفز إذن .

وكأنما كان السائق ينتظر هذه العبارة .. فلم يكذب ( أدهم )

ينطق آخر حروفها حتى قفز السائق من السيارة ، وتركها تنطلق  
وحدها ..

وفى لمح البصر احتل ( أدهم ) مقعد القيادة ، وعاد يسيطر

على السيارة وزاد من سرعتها إلى نحو جنونى ، وهو يقبض على  
عجلة قيادتها بقبضة كالفولاذ ..

كان الليل قد أرخى سدوله ، وانتشر الجليد كثيرا ، وباتت  
القيادة على هذا النحو ضربا من الجنون .. ولكن ( أدهم ) لم

يتوقف ، ولم يقلل من سرعته قط ، حتى اتسعت المسافة بينه  
وبين المصفحتين ، وهنا انحرف فى طريق جانبي ، وأوقف السيارة  
فى هدوء ، وقفز منها ، وابتعد فى خطوات سريعة ، حتى غاب  
وسط الظلام ..

كان ( أدهم ) يسير فى سرعة ملفتة للانتباه ، ولكن الرئى  
الروسى ، الذى كان يرتديه ، منع جنود الحراسة كلهم من مجرد  
الاقترب منه ..

وكان يسير فى اتجاه يعرفه جيّدا ، حتى وصل إلى وجهته ،  
وتقدّم من بوابتها فى ثقة ، إلا أن حارس البوابة الروسى أوقفه ،  
وسأله فى احترام :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال ، هل لى أن أطلع على  
أوراقك ؟ .. أكرّر اعتذارى ، ولكن الأوامر تمنع دخول أى  
مخلوق إلى السفارة المصرية ، بعد منتصف الليل .

أطلت من عيني ( أدهم ) نظرة ، ومال حتى أصبح وجهه  
على بعد سنتيمترات قليلة من الجندى ، وقال بالروسية :

— ألا تعرف من أنا أيها الرفيق الجندى ؟

ارتبك الجندى المسكين ، وحاول جاهدا أن يتذكر هذه  
الملاح ، ولكنه فشل تماما ، فغمغم فى توثر :



— إنها الأوامر أيها الرفيق الجنرال .

قال ( أدهم ) في لهجة ، نجح في صبغها بالغضب :

— أنا الذى يصدر هذه الأوامر أيها الرفيق الجندى .

ارتجف جسد الجندى ذعرا ، واعتدل في وقفته العسكرية ،

وهو يقول في احترام :

— عفوك أيها الرفيق الجنرال .

حَدَّجَه ( أدهم ) بنظرة أخرى صارمة ، ثم عَبَّرَ بَوَابَةَ

السفارة المصرية بخطوات ثابتة ، مرفوع الرأس .. ولم يكد

يفعل ، حتى تملكه انفعال شديد ، وأطلق من صدره زفرة

قوية .. فها هوذا أخيرا فوق أرض مصرية .

\*\*\*

## ٩ — لا أيها الفشل ..

انخرطت ( منى ) في بكاء شديد ، داخل الحجرة التى

استضافها فيها السفير المصرى ، فى ( موسكو ) ، وهى تستعيد

كل ذكرياتها مع ( أدهم ) ..

لم تنكر فى هذه اللحظة أنها تحبه ، فقد كانت تشعر بقلبها

يتمزق لفقده ، وبمشاعرها تنهار من أجله ..

كانت دموعها تغطى وجهها ، عندما سمعت صوت طرقات

هادئة على باب حجرتها ، فأسرعت تجفف دموعها ، وتقول فى

صوت متحشرج ، من أثر البكاء :

— من الطارق ؟

سمعت صوت السفير يقول :

— هل تسمحين لى بدقيقة من وقتك يا آنستى ؟

قالت فى ضيق :

— بلا شك يا سيدي السفير .

دخل السفير إلى حجرتها فى هدوء ، وتطلع إلى عينيها

المحمرتين ، وسألها فى إشفاق :



— أما زلت تبكينه يا آنستي ؟

عادت الدموع تنهمر من عينيها ، وهي تغمغم في ألم :

— سأبكيه العمر كله يا سيدي .

سألها في هدوء :

— كنت تحبينه إذن ؟!

أجابته في حرارة :

— نعم .. وباليستي أخبرته بذلك قبل أن أفقده .

تسلل إلى مسامعها — حينئذ — صوت هادئ حنون ، يقول :

— ما زالت أمامك فرصة مناسبة يا عزيزتي .

التفت ( منى ) بمشاعرها كلها إلى مصدر الصوت ،

وانطلقت من أعماق قلبها صرخة تموج بالدهشة والحنان ،

وهي تهتف :

— ( أدهم ) ؟!

حاولت أن تلقى نفسها بين ذراعيه ، ولكن مشاعرها

فاضت في أعماقها ، فتفجرت من عينيها دموع غزيرة ، وهتفت

في فرح شديد :

— حمداً لله .. حمداً لله .

غافلت دموع حنون عيني السفير ، وسالت على وجنته ، حينما

احتوى ( أدهم ) كفى ( منى ) في راحتيه ، وهمس في حنان :

— لقد عدت من أجلك يا عزيزتي .

ثم أردف وهو يتسم :

— ما رأيك أن أستغل الفرصة ، وأطلب منك الزواج

منى ؟

هتفت في حرارة ، وهي تملأ عينيها بوجهه :

— إنني أوافق يا ( أدهم ) .. أوافق في هذه المرة بلا تردد .

اتسعت ابتسامته ( أدهم ) ، وهمس :

— يا إلهي !!.. هذا هو انتصاري الحقيقي يا ( منى )

مسح السفير دموعه ، وصبغ لهجته بالمرح وهو يقول :

— سأعد إجراءات عودتكما إلى القاهرة على الفور و .....

استدار إليه ( أدهم ) ، وقاطعه قائلاً :

— ليس بعد يا سيدي .

هتفت ( منى ) :

— ولكن يا ( أدهم ) .....

قاطعها ( أدهم ) مرة ثانية :

— لن نعود قبل أن نتم مهمتنا يا ( منى ) .. فأنا لا أميل

للعمليات الفاشلة ، وسنحتفل بزواجنا في القاهرة ، بعد أن

نعود بهذا الوعد ( أندريه ) بإذن الله .



سأله السفير في اهتمام :

— أنت تنوى الاستمرار إذن ؟

أجابه ( أدهم ) في حزم :

— نعم يا سيدي السفير .. سأواصل المهمة حتى النصر .

\*\*\*

امتألت ملاح ( ياكوف ) بالغضب ، وأخذ يدور في أرجاء حجرته كاللث الجريح ، حتى أن ( إيفانوف ) هتف به :

— اهدأ أيها الرفيق الجنرال .. إنه لم يغادر ( روسيا ) بعد .

قال ( ياكوف ) في حنق :

— لن يغادرها إلا جثة هامدة .

ثم استدار إلى ( إيفانوف ) ، وصاح في حدة :

— هل تعلم أنه أول شخص ينجح في الفرار من إدارة

مكافحة التجسس ؟

واستطرد في انفعال شديد .

— إنها أول مرة أشعر فيها بمرارة الفشل .. ولقد وعدت

الرؤساء بإلقاء القبض عليه ، وإرساله إلى ( سيبيريا ) قبل أعياد الميلاد .

نظر إليه ( إيفانوف ) في دهشة ، وغمغم :

— لقد حصرت نفسك في دائرة بالغة الضيق أيها الرفيق

الجنرال .. فستبدأ احتفالات أعياد الميلاد ، بعد أقل من أربعين

ساعة .

غمغم ( ياكوف ) في صرامة :

— إنها تكفيني .

همس ( إيفانوف ) في حيرة :

— ولكن كيف ؟

اعتدل ( ياكوف ) ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ،

وصمت لحظة ، ثم قال في حزم :

— سيقودنا إليه ( أندريه ) .

مال ( إيفانوف ) نحوه ، وسأله في اهتمام :

— كيف ؟

تطلع إليه ( ياكوف ) لحظة ، ثم رفع رأسه ، وقال :

— جرت العادة في أعمال المخابرات خارج البلاد ، أن يتم

إبلاغ السفير بنوع العملية ، حرصاً على التموه السياسي في حالة



فشلها ، ولا ريب أن المصريين يتبعون القاعدة نفسها ،  
وسنستغل هذا .

عاد ( إيفانوف ) يسأله في إصرار :  
— كيف ؟

تألقت عينا ( ياكوف ) ببريق عجيب ، وهو يقول :  
— سترى أيها الرفيق .. سترى .

\*\*\*



## ١٠ — العودة ..

اقتحم المقدم ( حازم عبد الله ) حجرة مدير المخابرات  
المصرية ، وهو يهتف في فرح :  
— لقد عاد ( أدهم ) يا سيدي ، ووصل إلى سفارتنا في  
( موسكو ) .

قفز مدير المخابرات من خلف مكتبه ، وهتف في فرح  
مماثل :  
— عاد ؟! .. ياله من رجل !! كنت أعلم أنه لن يستسلم  
بسهولة .

ثم أردف وهو يلوح بكفيه في انفعال :  
— إنه قادر على هزيمة القوات السوفيتية كلها وحده .  
هتف المقدم ( حازم ) في سعادة :  
— إنه يطلب الاستمرار في المهمة يا سيدي .  
تلاشى فرح مدير المخابرات بغتة ، وعقد حاجبيه وهو  
يغمغم في قلق :



— الاستمرار !؟

غمغم ( حازم ) ، وقد خفت فرحه بدوره :

— هذا حقّه يا سيّدى .

ظل مدير المخابرات صامتاً بعض الوقت ، ثم غمغم :

— خطأ يا ( حازم ) .

واستدار إلى ( حازم ) ، مردفاً في حزم :

— أ برق إليه أن المهمة قد ألغيت يا ( حازم ) ، واطلب منه

العودة إلى مصر بأسرع فرصة ممكنة .

اتسعت عينا ( حازم ) ، وغمغم في خيرة :

— ولكن يا سيّدى ..

قاطع مدير المخابرات في حزم :

— هذه الأمور تخضع لاعتبارات كثيرة أيها المقدم ،

وبالنسبة لنا سيكون من المستحيل أن نستمر في تحدى السلطات

السوفيتية ، حرصاً على العلاقة بين دولتنا .

صمت لحظة ، ثم أردف في هدوء :

— سنتخلّى عن ( العين الثالثة ) ، ولنستعدّ أهم رجالنا ..

( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وغمغم في غضب :

— ألغيت المهمة !؟ .. لماذا ؟

مطّ السفير شفّتيه ، وقال :

— لست أدري أيها العقيد .. إنها أوامر إدارة المخابرات

العامة .

ظهر الغضب على وجه ( أدهم ) ، وقال في ضيق :

— يمكننا أن نجري محاولة أخيرة على الأقل .

هزّ السفير رأسه نفياً في هدوء ، وقال :

— مستحيل أيها العقيد .. لا يمكنك مخالفة الأوامر .

لوح ( أدهم ) بكفّيه في حلق ، وسمع ( منى ) تقول في

حنان :

— دَعْنَا نَعُدْ يا ( أدهم ) .

غمغم في ضيق :

— إننى أكره الفشل يا ( منى ) .

أرادت أن تهدئ من حدّة غضبه ، فربّت على كتفه في

حنان ، في نفس اللحظة التى وصل فيها السكرتير الأول

للسفارة ، وقال للسفير في قلق :

— هناك أمريكي ينتظر في قاعة التأشيرات ، ويطلب

مقابلة العقيد ( أدهم صبرى ) يا سيّدى .



ظهرت الدهشة على وجهى السفير و ( منى ) ، على حين عقد ( أدهم ) حاجبيه ، وغمغم :

— ما اسمه ؟

أجابه سكرتير السفارة :

— قال إنه يدعى ( أندريه جريج ) .

تبادل ( أدهم ) و ( منى ) والسفير نظرات الدهشة ، ثم أسرع السفير يقول :

— أخبره بأننا لا نعرف من يدعى ( أدهم صبرى ) و ....

قاطعته ( أدهم ) فى اهتمام :

— مهلاً يا سيدي .. قابله فى مكتبك ، وأخبره أننى لست

هنا ، واطلب منه أن يبلغك ما يريد .

هتف السفير :

— ولكن الأوامر ....

قاطعته ( أدهم ) :

— سأتحمل النتائج يا سيدي .

كانت لهجة ( أدهم ) حازمة ، حتى أن السفير صمت

لحظة ، ثم قال :

— حسناً أيها العقيد .. سأقابله .

\*\*\*

تلقت ( أندريه ) حوله فى قلق ، وهو يعبر حجرة السفير ، وصافحه بيد مرتجفة ، ثم قال :

— أين السيد ( أدهم صبرى ) ؟

أجابه السفير فى هدوء :

— إنه لا يقيم هنا ، ولكنى أعدك بإبلاغه أية رسالة تطلبها .

تردد ( أندريه ) لحظة ، ثم قال فى همس :

— أريد السفر إلى القاهرة .

ابتسم السفير ، وقال :

— هذا لا يحتاج إلى السيد ( أدهم ) بالذات .. يمكنك

تقديم طلب و ....

قاطعته ( أندريه ) فى توتر :

— لا يمكننى السفر بالوسائل التقليدية يا سيدي .. إننى

أطلب من السيد ( أدهم ) إخراجى من ( روسيا ) ، بأية

وسيلة يراها .

غمغم السفير فى سخرية :

— عملية تهريب إذن ؟ .. هذا لا يدخل فى نطاق عمل

السفارة يا سيدي ( أندريه ) .

ظهر الألم فى وجه ( أندريه ) ، وقال فى همس :



— هل توجد أجهزة تصنّت هنا يا سيادة السفير ؟

هزّ السفير رأسه نفيًا في هدوء ، وقال :

— مطلقًا .. ولكن ربّما تحمل أنت بعضها .

ظهر اليأس على وجه ( أندريه ) ، وقال :

— اسمع ياسيّدى .. أبلغ السيّد ( أدهم ) أننى قد خسرت الرهان ، وسأنتظره فى مكتبى فى السادسة من مساء اليوم .. أبلغه ذلك فقط .

ابتسم السفير فى هدوء ، وقال :

— سأفعل ياسيّد ( أندريه ) .. كُنْ مطمئنًا .

غادر ( أندريه ) السفارة على عجل ، فأسرع ( أدهم )

و ( منى ) إلى مكتب السفير ، الذى قال :

— لقد تركت جهاز الاتصال الداخلى مفتوحًا ، ولا شك

أنكما سمعتما الحوار كله .

قال ( أدهم ) :

— نعم ياسيّدى .. ويبدو أن مهمتنا ستجرح ، بسبب

جبن هذا الرجل .

غمغمت ( منى ) فى قلق :

— ربّما كانت خدعة يا ( أدهم ) .

قال فى حزم :

— سأخاطر يا عزيزتى ( منى ) .

سأله السفير ، وهو يعقد حاجبيه فى توتر :

— هل تعنى أنك ستذهب إليه فى الموعد ؟

هزّ ( أدهم ) كتفيه ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

— بلا شك .. إنها فرصتنا الأخيرة لإنجاح المهمة .

ساد بينهم صمت قلق ، ثم عاد السفير يسأل ( أدهم ) :

— ولكن كيف ستخرجه من ( روسيا ) ؟ . إنهم لن

يسمحوا لكم بالسفر ولا ريب .

أخرج ( أدهم ) من جيبه خريطة للاتحاد السوفيتى ، فردّها

فوق مكتب السفير ، وقال :

— لقد أعدت مخبراتنا خطة الهرب مسبقًا .. فالبلد الوحيد

الذى يمكن اللجوء إليه ، هو ( فنلندا ) ؛ لذا فبعد استسلام

( أندريه ) لنا ، سننّخذ طريق ( موسكو ) — ( ليننجراد ) ،

ومن هناك ننتقل صوب الحدود ( الفنلندية ) .

غمغم السفير فى قلق :

— هذا يبدو سهلاً على الورق أيها العقيد .. ولكن

السوفيت يحيطون حدودهم بستار حديدى ، يستحيل اختراقه .



ابتسم ( أدهم ) في هدوء ، وقال :

— هذا هو تخصُّصى ياسيدى .

غمغم السفير في دهشة :

— تخصُّصك !؟

ابتسمت ( منى ) ، وهى تقول :

— هذا صحيح .. إنه يُدعى ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*



## ١١ — الفخ ..

جلس ( ياكوف ) على مقعد ( أندريه ) ، وخلف مكتبه ،  
وقد شبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وأخذ يحرك المقعد في  
هدوء ، يُمْنَةً وَيُسْرَةً ، وهو يتطلَّع إلى ( أندريه ) بنظرات  
باردة ، أثارت خوفه ، فغمغم في انكسار :

— لقد نفَّذت أوامرك كلها أيها الرفيق ( ياكوف ) .

قال ( ياكوف ) في هدوء :

— المهم أن يحضر هذا الشيطان إلى هنا .

ازدرد ( أندريه ) لُعباه في صعوبة ، وغمغم :

— سيحضر أيها الرفيق الجنرال ، سيحضر في مواعده تمامًا .

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامة باردة ، وقال :

— سيكون هذا من حُسن حظك أيها الرفيق ( أندريه ) ..

من حُسن حظك بالفعل .

\*\*\*

سار ( أدهم ) إلى جوار ( منى ) صامتًا ، في طريقهما إلى  
شركة الغلال الغربية ، وسألته ( منى ) في هدوء :



— أما زلت غاضبًا ؟

قال في ضيق :

— إنك لا تطيعين الأوامر أيتها النقيب .. لقد أمرتك بعدم  
مغادرة السفارة .

ضحكت وهي تتعلّق بذراعه ، قائلة :

— أنت نفسك تخالف الأوامر ، باستمرارك في المهمة ،  
فكيف تطلب مني طاعتها ؟

ابتسم لدعابتها ، وغمغم :

— الأمر بالغ الخطورة يا ( منى ) ، وربما كان ( أندريه )  
يخدعنا .

ابتسمت في خجل ، وهي تقول :

— حينئذ سأكون إلى جوارك ، ولن أفقد زوج المستقبل في  
سهولة .

رَبَّتْ على كَفِّها في حنان ، وسألها :

— هل تحتفظين في حقيبتك بالمسدس ، الذي أعارنا إيَّاه  
السفير ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

— إنني أحتفظ به محشّوا ، ومستعدًا للعمل .

بدأت الثلوج تنهمر في غزارة ، فحث ( أدهم ) الخطأ وهو  
يقول :

— أسرع يا عزيزتي .. إنها الخامسة وأربعون دقيقة .

تَبِعَتْه فيما يشبه العدو ، وهي تقول :

— لقد وصلنا تقريبًا ، ونحن نحمل ملاح تنكّريّة جديدة

و....

قاطعها بإشارة من يده ، وعقد حاجبيه وهو يتأمل مبنى  
الشركة بعين فاحصة ، فسألته ( منى ) في صوت خافت :

— هل تتوقّع شيئًا ؟

أجابها في هدوء :

— المكان يبدو هادئًا يا ( منى ) ، ولكن انهمار الثلوج  
أخفى كل الآثار المحيطة بالشركة .  
عادت تسأله :

— عمّ تبحث بالضبط ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— عن آثار عجلات سيارة عسكرية .

امتلاً صوتها بالقلق ، وهي تسأله هذه المرّة :

— هل تتوقّع فحًا ؟



ابتسم وهو يقول :

— لا بد لي من أن أفعل يا ( منى ) .

مضت فترة وهما يراقبان المكان ، ثم قال ( أدهم ) في حزم :

— هيا بنا يا ( منى ) .

وسارا جنبًا إلى جنب ، وبخطوات واثقة إلى الشركة .

\*\*\*

نهض ( أندريه ) من خلف مكتبه في لهفة ، وأسرع يصافح

( أدهم ) في قوة ، وهو يهتف :

— شكرًا لقدومك يا سيّد ( أدهم ) .. إننى أستسلم ،

وأعلن خسارتي للرهان .

جذب ( أدهم ) كفه من بين يدي ( أندريه ) ، وسأله في

برود :

— متى تصبح مستعدًا للخروج من هنا ؟

أجابه ( أندريه ) في لهفة :

— وقتما تشاء يا سيّد ( أدهم ) .

ثم أردف في اهتمام :

— وسأعاون المخابرات المصرية بقدر استطاعتي ، اعترافًا

منى بالجميل .

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :

— سيكون ذلك على الرغم منك أيها الوغد .

هتف ( أندريه ) :

— كما تشاء يا مستر ( أدهم ) .. كما تشاء .

ثم أشار إلى خريطة للاتحاد السوفيتي ، فوق حائط مكتبه ،

وقال :

— أى طريق سنأخذ في هروبنا يا مستر ( أدهم ) ؟

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وقال :

— الطريق إلى ( تركيا ) .

ابتسمت ( منى ) بدورها ، وهى تتأملهما من أمام النافذة

الزجاجية ، فقد كانت تعلم أن طبيعة ( أدهم ) الكتوم ، قد

جعلته يخدع ( أندريه ) في وصف طريق الهروب .

لاحظ ( أدهم ) ابتسامتها ، فابتسم بدوره ، ولكن

ابتسامته تلاشت فجأة .. فقد رأى دُعرًا هائلًا يرتسم فجأة في

عيني ( منى ) ، وهى تحدّق في نقطة ما خلفه ، ثم رآها تنتزع

مسدّسها من حقيبتها ، وتطلق النار .

وفجأة .. انطلقت عدة أعيرة قاتلة من فوهة مدفع

رشاش ، وقفز ( أدهم ) جانبًا ، ثم اتسعت عيناه في دُعر ،



فقد رأى الرصاصات القاتلة تخترق جسد ( منى ) ، وراها  
تندفع إلى الخلف ، وتحطم زجاج النافذة ، ثم تهوى ، والدماء  
تنزف من جسدها الضئيل ، من الطابق الثانى للشركة ، فصرخ  
فى ألم :

— ( منى ) !!

ثم استدار فى غضب هائل ، يواجه اثنى عشر من الجنود  
السوفيت ، ورشاشاتهم ، وعلى رأسهم الرفيق ( ياكوف ) .

\*\*\*



## ١٢ — الغضب الرهيب ..

لا أحد فى العالم كله ، يمكنه أن يصف كل هذا القدر من  
الغضب ، الذى عصف بنفس ( أدهم ) ، حينما رأى ( منى )  
تهوى أمامه من النافذة ..  
لقد حوَّله الغضب إلى وحش كاسر ، وضاعف من قدراته  
الخارقة عشرات المرات ..  
انقض على الجنود السوفيت كالصاعقة ، فحطم فكَّ أولهما  
بلكمة كالقنبلة ، وهشم أنف الثانى بأخرى ساحقة ، وشجَّ  
رأس الثالث بثالثة ماحقة ..  
كانت أطرافه الأربعة تتحرك فى سرعة مذهلة ، وغضب  
رهيب ، وتساقط الجنود السوفيت حوله ، كذباب يقتله مبيد  
حشرى قوى ، على الرغم من كونه أعزل ، أمام مدافعهم  
الرشاشة القويَّة ..  
ولكن الغضب الشديد أفقد ( أدهم ) أهم مميَّزاته ..  
الهدوء وحسن التدبير ..



وهوى آخر الجنود بكعب مدفعه الرشاش على رأس  
( أدهم ) ، ثم تراجع في ذهول ، حينما استدار إليه ( أدهم ) ،  
وعيناه تتدفقان شرراً ، وعاجله بلكمة قوية حطمت أنفه ..  
وهنا جمع ( ياكوف ) قوته كلها ، ووجه لكمة قوية إلى مؤخرة  
عنق ( أدهم ) ..

ترنح ( أدهم ) في ألم ، ولكن إرادته الفولاذية دفعته إلى  
التحرك نحو النافذة المخطمة ، وأطل منها في جزع ، ثم أطلق  
حشرة لوعة ، عندما رأى ( منى ) ممددة وسط الثلوج ، التي  
اصطبغ بعضها باللون الأحمر الدموي ..

وهنا هوت على رأسه بضربة أخرى ، سقط بعدها فاقد  
الوعي ..

نهض بعض الجنود السوفيت في ذهول ، والتقطوا مدافعهم  
الرشاشة ، على حين خرج ( أندريه ) من تحت مكتبه ، وسأل  
في صوت مرتجف :

— هل قضيت عليه أيها الرفيق ( ياكوف ) ؟

تطلع ( ياكوف ) إلى ( أدهم ) الفاقد الوعي ، وغمغم في  
دهشة ، لم تفارقه بعد :

— لقد هزمناه ..

قالها وكأنه لا يصدق نفسه ، ثم التفت إلى رجاله ، وقال في  
صرامة :

— كبلوه بأغلال حديدية ، واذهبوا به إلى الإدارة ،  
ولا تحلوا قيوده حتى أفرغ منه .

أسرع الجنود يحملون جسد ( أدهم ) ، ويسرعون به إلى  
الخارج ، على حين قال ( أندريه ) :

— لقد عاونتكم أيها الرفيق ( ياكوف ) .. أليس كذلك ؟  
نظر إليه ( ياكوف ) بعينين باردتين ، وقال :

— ما زلنا نحتاج إليك أيها الرفيق ( أندريه ) .

شحب وجه ( أندريه ) على حين أردف ( ياكوف ) في لهجة  
تفوح بالظفر :

— حتى ينتهى إغلاق ملف هذا الشيطان المصرى تماماً .

\*\*\*

لم يذق مدير المخابرات طعم النوم دقيقة واحدة ، حتى صباح  
اليوم التالى .. وعندما دخل ( حازم ) إلى مكتبه ، كان يتناول  
قدح القهوة الخامس ، ولكنه رفع عينيه إليه في اهتمام ، وسأله :

— هل من برقيات جديدة من ( موسكو ) يا ( حازم ) ؟

أوما ( حازم ) برأسه في بطاء وحزن ، فهتف به مدير  
المخابرات في عصبية :



— ماذا تحمل هذه المرة ؟

قال ( حازم ) :

— لقد خالف ( أدهم ) الأوامر ، وذهب إلى ( أندريه ) .

امتقع وجه مدير المخابرات ، وقال في صوت متحشرج :

— وماذا بعد ؟

حرك ( حازم ) رأسه في حيرة ، وقال :

— لقد اختفى بعدئذ تمامًا يا سيدي .

غاص مدير المخابرات في مقعده ، وغمغم في شحوب :

— اختفى ؟!

ثم أشعل إحدى سجائره في عصبية ، وقال :

— أبرق إلى رجال مكتبنا السري هناك يا ( حازم ) ،

واطلب منهم جمع كل المعلومات الممكنة .. وبأقصى سرعة .

وأردف في توتر زائد :

— إنه أخطر موقف تعرض له ( ن — ١ ) حتى الآن .

\*\*\*

زفر ( إيقانوف ) في ضيق ، وهو يدخل مكتب ( ياكوف ) ،

الذي تابعه في لهفة ، وأشعل ( إيقانوف ) واحدة من سجائره ،

ذات الرائحة النفاذة ، ونفث دُخَانَهَا في حَنَق ، فسأله

( ياكوف ) ، الذي لم يعد يستطيع كتمان لهفته :

— هل حصلت على اعتراف كامل منه ؟

مطأ ( إيقانوف ) شفتيه ، وهز رأسه نفياً ، ثم قال في

جدة :

— مطلقاً .. إنه أكثر من قابلت في حياتي كلها صلابَةً ..

لقد عرضناه للصدمات الكهربائية ثلاث مرّات ، وانتزعنا اثنين

من أظفاره ، وتركنا جروحه تنزف ، بعد أن أغرقناها بالملح ،

ولكنه ظلّ يتسم في سخرية ، دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

ظهر الغضب على وجه ( ياكوف ) ، وهتف :

— أثنخوه بالجراح .. احرقوا أطرافه .. المهم أن أحصل على

اعتراف كامل منه .

هزأ ( إيقانوف ) رأسه نفياً ، وقال :

— لن تحصل منه على كلمة واحدة ، فهو طراز مختلف من

الرجال .. طراز من فولاذ لا ينكسر .

زفر ( ياكوف ) ، وزجر في غضب ، ثم قال في عصبية :

— ناولني إحدى سجائك .

تطلّع إليه ( إيقانوف ) في دهشة ، وقال :

— ولكنك تركت التدخين منذ .....

هتف ( ياكوف ) في حنق :



— سأعود إليه .

ناولته ( إيقانوف ) السيجارة ، فأشعلها ، ونفث دخانها ،  
ثم قال :

— سأذهب إليه بنفسى .

سأله ( إيقانوف ) فى لامبالاة :

— وماذا ستفعل معه ؟

صمت ( ياكوف ) لحظة ، ثم أجاب :

— سأنتزع منه اعترافاً أو .. أو أقتله .

\*\*\*



## ١٣ — بين الأغلال ..

طرق ( قدرى ) البدين ، مدير قسم التزييف ، باب مكتب  
مدير المخابرات المصرية .. ولم يكذ يسمع صوت المدير يأذن له  
بالدخول ، حتى دفع الباب ، وتطلع بعينين محمرتين إلى  
( حازم ) ، ومدير المخابرات ، وغمغم فى صوت شف عن  
آلامه :

— هل وصلت برقية جديدة ، بخصوص ( أدهم ) و ( منى )  
يا سيدى ؟

أجابه مدير المخابرات فى صوت حزين :

— نعم يا ( قدرى ) .

شعر ( قدرى ) أن قدميه تعجزان عن حمله ، وهو يسأله :  
— ماذا حدث ؟

أطرق مدير المخابرات برأسه فى حزن ، على حين أجاب  
( حازم ) :

— يقول شهود الموقف أن قتلاً عنيفاً قد دار فى مكتب



شركة الغلال الغربية ، وحدث تبادل إطلاق نيران ، سقطت بعده فتاة تنطبق ملامحها على ( منى ) ، من الطابق الثانى ، وجسدها يدمى إثر رصاصات مدفع رشاش ، وبعدها غادر الجنود السوفيت الشركة ، وهم يحملون جسد رجل تنزف الدماء من رأسه فى غزارة ، وهو فاقد الوعي ، وكبلوه بالأغلال ، ثم حملوا جثة ( منى ) ، وانطلقوا إلى جهة مجهولة .

اتسعت عينا ( قدرى ) ، واغرورقتا بالدموع وهو يغمغم :  
— جثتها !!؟

اندفعت الدموع من عينيه فجأة ، واهتز جسده البدين فى قوة ، مع نحيبه ، وتطلع إليه مدير المخابرات و ( حازم ) فى إشفاق ، ثم غمغم المدير فى حزن عميق :

— كنا جميعاً نتوقع هذه النهاية يا ( قدرى ) .. لقد كانت هذه آخر مهام ( أدهم ) و ( منى ) .. إنها نهاية ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

رفع ( أدهم ) عينيه فى بطاء ، يتطلع إلى ( ياكوف ) ، الذى وقف يتأمله فى هدوء ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره .. كانت حالة ( أدهم ) مؤسفة للغاية ، فقد بدت ثيابه رثة ،

وتجمدت على جبهته بعض الدماء ، من جرح عميق فى رأسه ، وبدأ ظفراه المنزوعان ملتھين دامين ، على نحو عنيف ، وكان مكبلاً بالأغلال الحديدية ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يتسهم فى سخرية ، وهو يقول :

— كيف حالك أيها الرفيق ( ياكوف ) ؟  
ظلّ ( ياكوف ) يتأمل لحظة فى تعجب ، ثم أجابه فى هدوء :

— هل تحاول التظاهر بالبطولة ، يا ضابط المخابرات المصرية ؟

بدت ابتسامة ( أدهم ) شديدة السخرية ، وهو يقول :  
— اسمى ( أشرف صابر ) .. وأنا موظف فى وزارة الزراعة المصرية .

مطّ ( ياكوف ) شففيه ، وقال :  
— لن يفيدك الإنكار أيها الرفيق ( أدهم ) .  
ثم انحنى نحوه ، وأردف فى هدوء :

— لن نسألك عن طبيعة مهمتك فى أرضنا .. سيكفيكنا أن نعرف أنك ضابط مخابرات مصرى .

اكتفى ( أدهم ) بابتسامته الساخرة ، دون أن ينطق بكلمة ، فاعتدل ( ياكوف ) ، وقال :



— إنه مجرد إجراء شكلي أيها الرفيق ( أدهم ) .. فقد أدلى  
 ( أندريه ) ، عميل ( سكوريون ) باعتراف تفصيلي .  
 صمت ( ياكوف ) يمنح ( أدهم ) فرصة للإجابة ، ولكن  
 ( أدهم ) استمر على صمته ، واستمرت ابتسامته الساخرة  
 تزين شفثيه ، فعاد ( ياكوف ) يقول :  
 — اعترافك سيجنبك مشقة عسيرة أيها الرفيق المصري ،  
 وربما اكتفت السلطات بإعادتك إلى دولتك و ....  
 قاطعته ابتسامه ( أدهم ) ، التي ازدادات سخرية ، فقال في  
 غضب :

— ماقولك أيها الرفيق ( أدهم ) ؟

أجابه ( أدهم ) في هدوء :

— اذهب إلى الجحيم .

اعتدل ( ياكوف ) في حدة ، وشفّت ملامحه عن غضبته  
 العنيفة ، ولكن ملامحه لم تلبث أن استعادت هدوءها ، وهو  
 يقول :

— لست أنا من سيذهب إلى الجحيم أيها المصري .

ثم أشعل واحدة من سجائر ( إيقانوف ) ، ذات الرائحة  
 النفاذة ، وأردف :

— ولكن الجحيم الذي ستذهب إليها جحيم من الثلوج ..

ثلوج تصل برودتها إلى خمسين درجة تحت الصفر .

لم تختف ابتسامه ( أدهم ) الساخرة لحظة واحدة ، طوال  
 حديث ( ياكوف ) ، مما أورث هذا الأخير شعوراً بالحنق ،  
 فألقى سيجارته بعيداً ، وهتف في غيظ :

— سأرسلك إلى سجن تحيط به القضبان الجليدية أيها  
 المصري ، سجن لم ينجح سجين واحد في الفرار منه منذ  
 إنشائه .

زفر في غضب ، ثم أردف في انفعال :

— سأرسلك إلى ( سيبيريا ) .

\*\*\*

وقف ( أندريه ) يرتجف أمام ( ياكوف ) ، الذي حدّجه  
 بنظرات صارمة ، بدت وكأنها تنفذ من جلد ( أندريه ) ،  
 وتسّلل إلى أعماقه ، فغمغم في توثر :

— هل تسمح لي بالعودة إلى موطنى أيها الرفيق  
 ( ياكوف ) ؟

ابتسم ( ياكوف ) ابتسامه صفراء ، أثارت رعب  
 ( أندريه ) ، وهو يقول :



— هل سئمت بلادنا الجميلة أيها الرفيق ( أندريه ) ؟

هتف ( أندريه ) ، وهو يلوح بيده في دُعر :

— مطلقاً أيها الرفيق الجنرال .. مطلقاً .

اتسعت ابتسامة ( ياكوف ) ، وهو يقول في هدوء :

— سنستضيفك في بلادنا طويلاً أيها الرفيق .

هتف ( أندريه ) في رعب :

— ماذا تقول أيها الرفيق الجنرال ؟

جاءه صوت ( ياكوف ) بارداً كالثلج ، وهو يقول في

صرامة :

— سترافق الشيطان المصرى إلى ( سيبيريا ) أيها الرفيق

( أندريه ) .

أطلق ( أندريه ) صرخة رعب ، وصاح :

— لا أيها الرفيق الجنرال .. أرجوك .. ليس ( سيبيريا ) .

بدا ( ياكوف ) أشبه بالشيطان وهو يقول :

— هذا جزاء كل من تسوّل له نفسه العبث ببلادنا أيها

الرفيق .. ستقضى أنت والشيطان المصرى ما بقى من عمريكما

وسط ثلوج ( سيبيريا ) ، التى لا ترحم أحداً .

\*\*\*

## ١٤ — ختام الجزء الأول ..

تحوّلت مدينة ( موسكو ) إلى شعلة من الضوء ، عشية عيد

الميلاد ، وتدفّقت أنهار من الفودكا بين السوفيت ، الذين قلّما

يجدون وقتاً للهو والعبث ، فاندفعوا يتصايحون ، ويلهون وسط

الثلوج المنهرة ، احتفالاً بمقدم عام جديد ..

كان الكلّ يلهو في سعادة ، ما عدا رجلاً واحداً ..

رجلاً جلس وحيداً مكبلاً بأغلال حديدية ، داخل عربة

مغلقة من عربات قطار نقل الفحم ، الذى ينهب الطريق إلى

( سيبيريا ) ..

رجلاً قامت على حراسته كتيبة كاملة ، من الحراس

المدججين بالسلاح ..

رجلاً كان يلقّب بـ ( رجل المستحيل ) ..

كان جنود الحراسة يصوبون إليه مدافعهم الرشاشة طوال

الوقت ..



ولكن الرجل لم يكن يفكر في الفرار ..  
كان مستسلماً لمصيره ، وكأن مصرع زميلة كفاحه ، قد  
حطّم في أعماقه الرغبة في الصراع ..  
لم يعد هو ( أدهم صبرى ) الذى نعرفه ..  
لم يعد ذلك الوسيم القوى ، الذى تنبض عروقه بالحماسة  
والثورة ..  
بدا وكأنه رجل آخر .. نمت لحيته ، وفقدت عيناه  
بريقهما ..  
رجل استسلم للقدر ..  
القدر المظلم ، وسط سجن من الثلج .. وإلى الأبد .



[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

[ انتهى الجزء الأول ]